

הספריה הלאומית

S 95 B 9137

السنوات، يحيى،
شرف البعلوجي /

C.1



29808-10

FA

أشرف البعلوجي

إعداد / يحيى زبراجيه والسنوات

اقرأ في هذا الكتاب :

المقدمة

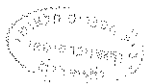
الفصل الأول :النشأة

الفصل الثاني: الشرارة والتمايز والوضوح

الفصل الثالث: الدم يطلب الدم

الفصل الرابع :ليل الزنازين طويل لقاء وأمل

خاتمة :اعتذار أخير



اقرأ في هذا الكتاب :

المقدمة

الفصل الأول :النشأة

الفصل الثاني:الشرارة والتمايز والوضوح

الفصل الثالث:الدم يطلب الدم

الفصل الرابع :ليل الزنازين طويل لقاء وأمل

خاتمة :اعتذار أخير



59589137

بسم الله الرحمن الرحيم

" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ."
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أهل الشام في رباط الى يوم القيامة " " وخير رباطكم عسقلان " وقال علي لسان ربه مخاطبا الشام " يا شام أنت خيرتي من بلادي أسوق اليك صفوتي من عبادي "
" فرسان الحماس "

مقدمة الفرسان

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بأن جعلنا مسلمين فشرفنا بالانتساب اليه سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على سيد خلق الله رفع اللواء لتحرير الانسان ولسيادة الحق على الأرض وسلمنا الراية من بعده لنلي نداء الله الذي لبى من قبل " إنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " التوبة . وبعد :
فليس من بدع القول أن ادعي أن من دواعي الفخر والشرف أن اكتب هذه السلسلة مسجلا بها صفحة رائعة من صفحات ملحمة البطولة في معركة الحق المتصلة عبر التاريخ من لدن آدم عليه السلام وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .
نعم ان ذلك من دواعي فخري أن أتمكن من الكتابة في دفتر الجانب الذي أسجل فيه تاريخا وأصنع فيه توثيقا لهذه المرحلة الحرجة الصعبة من تاريخ هذه الأمة وهذا الشعب وهذه المقدسات فالحمد لله أن من علي بهذا الشرف العظيم حيث يسرني أن أعيش عن قرب أحداث هذه الملحمة العظمى شرف

عظيم هذا الذي حزت بأن تعرفت على هؤلاء الفرسان المغاوير الذين صاغتهم عقيدة الأنبياء التي إرتضى الله عز وجل لخلقهم تعرفت عليهم عن قرب وعشت معهم لحظة بلحظة وعشت معهم الآلام والأمال عشت معهم الابتسام للغد المشرق بشمس الحرية وراية الحق خفاقة عالية نعم شرف وأي شرف أن يعيش المرء مع هؤلاء الفرسان الذين هاجموا الموت وطاردوه ولاحقوه في أحضانهم ولم ينتظروه ليطاردهم ويلاحقهم في مضاجعهم وشرف وأي شرف أن أعيش قصص الفروسية هذه من أفواه الفرسان أنفسهم لاكون الأمين على نقلها لأحبتى على إمتداد الوطن النازف فلسطين أولا وعلى إمتداد الوطن الاسلامي الكبير ليعيش الأجيال صورا ونماذج من فدايتي الاسلام وأسود رسول الله صلى الله عليه وسلم فئة صارعت الموت وأراد الله عز وجل أن يخرجوا منتصرين شهداء أحياء يعيشون بين الناس يأكلون ويشربون ينامون ويقومون ولكنهم بحق وحقيقة شهداء نعم فقد سألوها بصدق بل وتقدموا لها بصدق وألقوا بأنفسهم في أحضانها التي تجدونها فيها لا محالة يابى الله عز وجل إلا أن يعطيني من خلالهم الدرس الخالد الذي أدركه الصحب الكرام الأوائل " إحرص على الموت تهرب لك الحياة " فسجلهم ربهم إن شاء الله تعالى شهداء وأبقاهم على قيد الحياة ليعظوا عدو الله وعدوهم كلما ذكرهم ذاكر أو تغنى بهم حاد أو ترنم بأسمائهم للدرب سالك ليس من دواعي الشرف أن يتعرف المرء على مثل هذه الكوكبة من الفرسان وأن يعيش معهم ، أن يقبل أياديهم ورؤوسهم تلك التي أنتجت وأنتجت وتقدمت الى هذا الحد الذي لا يستطيعه صغار

النفوس ولا ضعاف الهمم والعزائم وقد قيل : على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم وتعظم في عين الصغير صفارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم ، تقدموا لهذه الدرجة ولا زال أمدهم يرى نفسه مقصرا في حق دينه ووطنه وأمه أما أنا على يقين قاطع لا يراوده شك أن هذا شرف لي وفخر والحمد لله لم ينارغني فيه أحد فمن مثلي حاز الشرف الذي حزت بصحة مثل هذه الطائفة والكتابة عنها والتسجيل لها ، وإن كنت في غمرة هذه المفخرة الفامرة والفرحة العارمة تطير بي المشاعر وتحلق بي النشوة فإن ذلك لا يمكن أن ينسيني بحال من الأحوال وتحت أي ظرف حتى هذا الظرف ... لا ينسيني أن أذكر لأهل الفضل فضيلهم وليس ذلك من بدع القول فمن الحق الذي لا غلو فيه أنه إذا ما ذكر الفارس أن يذكر أستاذه وإذا ما ذكر السطل أن يذكر صانع البطولة فيه من الحق الذي لا مراة فيه أن تقف وقفة إجلال لأستاذ الفرسان ومربيهم ورأئدهم ورمزهم ومفجر الفروسية في صدورهم والبطولة في أفعالهم والحماس في أرواحهم والتطلع إلى المجد في أعماقهم الذي دفنهم فعله الأسطورة لأن يطاردوا الموت يراودونه عن نفسه ذاك الشيخ المجاهد أحمد ياسين نعم فهو بحق ودون منازع رمز صورة الحياة التي دبت في نفوس هذا الشباب فتدفق العطاء يطارد الموت يراوده يصنع البطولات بسطر المجد بحروف من نور أو من نار أو قل بحروف من ألم أو من أمل أو بحروف من أحمد ياسين فهو الروح التي أفاضها الله علينا فجاءت حماسا يشعل النفوس لينقلها من ضحية المشروع الذي يراد به صناعة مجموعات

المرتزقة التي يريد بها اليهود أن يسيطروا على المنطقة ويسودوا العالم إلى طلائع الحرب التحرير الشامل ومقدمة لفرسان الحماس لمفاوير المجد لطلائع المجاهدين صناع الحياة عشاق الموت مرة أخرى يشرفني أن أسطر ملحمتي هذه فرسان الحماس لأسجل فيها وبحروف من أحمد ياسين أسطورة العصر قصص الفرسان المفاوير فرسان الحماس عامر أبو سرحان ، أشرف البعلوجي ، محمد أبو جلالة ، وياسر داود ، وغيرهم ممن ساروا على درب الفروسية هذا الطاهر الشريف ولي أكل ورجاء أن يسامحني هؤلاء الفرسان إن كنت على غير قصد مني قد بغست أحدهم حقه فلم أنزله قدره أو لم أستطع أن أعبر عن مشاعره التي أحس يوم تقدم فارسا مقوارا أو تجاوزت حدي بالكتابة عنه رغما عنه وقد أحب أن يموت جنديا مجهولا وفارسا ملثما لا يعرفه أحد فكتب وصيته بذلك وأبى الله عز وجل إلا أن يميظ اللثام عن وجهه وعلى رؤوس الأشهاد ولتبهر الأنظار وتخضع القلوب بصانعي المجد فتتظر نظرة التقدير والافتخار لفرسان الحماس وليهتف كل هذا التوحيد على إمتداد الوطن الاسلامي الكبير وقلوبهم تخفق فرحة ودموعهم منهمة شوقا يهتفون وبصوت واحد :

فتيان أحمد أوقدوا نار الفدى	بحجارة وبخنجر وزجاج نار
شامير أطرق صاغرا في ذلة	وتماظمت بحماسنا نور ونار
لو كان ينظر جيشه في رعبه	للم متاعه وارتحل أن إنفجار
لن يبق أخضر يابس يا ابن البلاد	ستعود خير بل قريظة والفتار

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم
وبابى الله عز وجل إلا أن يميظ اللثام عن وجهه وعلى رؤوس الأشهاد ولتبهر الأنظار وتخضع القلوب وتتنظر الأبصار نظرة التقدير والافتخار بفرسان الحماس " فرسان الحماس الفارس أشرف حسن البعلوجي ١٩ عام غزة .
المدخل غزة العراقة والتاريخ والفوهة ، ويماط اللثام فاذا فارسنا هذه المرة شبل من غزة .. فهل سبق لك أن زرت غزة ؟ أو هل سبق لك أن عرفت شيئا عن غزة !!؟ ولو من قصص عجائزها !!؟ وهل أدركت يوما حقيقة أن مدينة غزة تمثل بوابة آسيا القارة العظمى على وجه الأرض فهي الحبل السري الذي يربط شطري العالم الاسلامي الآسيوي والأفريقي وأي مسافر يسلك الطريق البري أو البحري متنقلا عبر القارتين لابد وأن يمر بغزة أو أن يمر بمحاذاتها كحد أدنى وهي موئله إن أعوزته الظروف فاضطر إلى موئل ولا يغيب عن بالي أن كل الجيوش التي عبرت إحدى القارتين للأخرى على مدار التاريخ لابد وأن تمر في عبورها بمدينة غزة عروس آسيا فهي بوابة البوابة فلسطين !! وزيادة على كونها بوابة آسيا فهي بجداره سره العالم الاسلامي وقد إحتلت هذا الموقع من كونها بوابة آسيا فامتداد الاسلام العظيم في أفريقيا عبرها من غزة الساحل العروس الغناء وهي سره السررة فلسطين ولعل حساسية موقعا بالنسبة للعالم الاسلامي هو الذي دفع الأعداء لدق ذاك الاسفين والخنجر المسموم في موضع السرّة عن قصد

وتعمد ليتسنى فصل شطري العالم الاسلامي بسهولة بفعل تلك الطعنة الماكرة التي طاب لهم أن يسموها إسرائيل عبر هذه البوابة ومن خلال هذه السرة يمتد خط السكة الحديدية الأعظم الذي يربط بين عاصمة الخلافة الاسلامية في حينه الأستانة وبين أقصى الغرب في العالم الاسلامي مراكش وهو أحد الخططين الحديديين الذين شكلا عصب الاتصالات في دولة الخلافة الاسلامية حيث يمتد الثاني من الأستانة وحتى مكة المكرمة ليتحقق من خلال إمتدادها معنى الأمة الواحدة عبر غزة البوابة والسرة ويمتد خط السكة الحديد ليتجه نحو الشمال إلى الأستانة ويستدير نحو الغرب بعد قليل مروراً بكل الساحل الشمالي لأفريقيا حتى مراكش وهل سبق لك أن زرت غزة ضيفاً وقدر لك أن تمشى على أطرافها ليلاً ليشم أنفك شذى الليمون أو يفمرك ريح الباسمين أو تداعب وجهك نسيمات الهواء العليل القادمة من الأبيض المتوسط غرباً معقمة بملوحة ماء البحر الزاخر والحافل بذكريات الأمجاد فغزة هذه قالوا في نسبتها أنها لهاشم بن عبد مناف من سلالة أبي العرب إسماعيل عليه السلام ولأبي الأنبياء إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه ، وجد رسولنا الكريم الهاشمي المنتسب إلى هاشم بن عبد مناف مفخرة النسب العربي وقيل أن إسمها كان أصلاً غزة بمعنى القوة والمنعة ودرجت على الألسن غزة إذ كان متعذراً على الفساسة التي سكنوها لفظ العين وقد ذكر أنها منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وأنه كان يحيط بها سور يحدها من دير سنيد إلى

دير البلح ومن وادي الشريعة إلى البحر المتوسط وغزتنا القديمة هذه أصلاً كانت حيان الأول هو في الشجاعة والثاني هو محلة الدرج والمحلّتان معا هما غزة التاريخ والأمجاد وإذا جلت بنظرك خاصة من فوق قمة المنطار الشهيرة شرقي الشجاعة لا تخفى عليك مثذنة مشرّبة شامخة رغم الأسلاك الشائكة والدم والدمع والرماد بين مئات المساجد المشرّبة الشامخة عبر أحياء غزة المراقبة تلك مثذنة المسجد العمري في محلة الدرج في قلب غزة المسجد الشاهد على المراقبة والأصالة والتاريخ المجيد وقد قيل في نسبته أنها لعمرو بن الخطاب رضى الله عنه حيث تدور حوله أحاديث هامة أنه كان معبداً للمجوس ثم كنيسة للنصارى وقد حوله الفاروق رضى الله عنه مسجداً يذكر فيه رب العالمين وأيا كانت تلك الروايات وأيا كانت صحتها ولسنا كتبة تاريخ ولكن ننقل أحاسيس ومشاعر فهذه مثذنة المسجد العمري شامخة شاهد عراقية وإشارة أصالة تناديك أن هذه غزة إذا أردت أن تبدأ جولتك فيها فمهم لك أن تبدأها من المسجد العمري فهو المعلم الأبرز فإذا سافتك الأقدار وزرت غزة وزرت مسجدها العمري فلن تمتلك السيطرة على قدميك لتسوقاك شرقاً عبر شارع عمر المختار ولتصل إلى ميدان المدينة الذي يفصل بين الشجاعة والدرج هنا تنحدر بك الطريق إنحداراً شديداً لتجد نفسك أمام متنزه الميدان حيث الأرض المائلة المكسوة بالسندس تشرّب وسطه شجرات النخيل شاهد إباء ودليل شهامة وتستطيع قطعاً أن تقرأ في سطور السعف المعلق هناك عالياً في السماء وعند

قمة النخلة أن شجر المنطقة يرفض الضيف ويأبى الذل فقد تلقن الدروس في ذلك من أهله الذين يراهم ويحييهم صباح مساء من هذا الميدان تستطيع أن تتحرك في اتجاهات أربع نحو الشرق عبر الشجاعة إلى بئر السبع وصحراء النقب حيث سكن سيدنا يعقوب وبنوه وحيث الكيد على الحب والصفاء على يوسف الصديق الصبي الحبيب إلى والده الكيد الذي حاق بأهله ودارت دائرته عليهم ونحو الغرب عبر غزة الجديدة وبمحاذاة الدرج تنحى عبر شارع الوحدة أو عبر شارع عمر المختار إلى شاطيء الأبيض المتوسط الصابر المحتسب الناظر على حرقه وشوق للمجد الضائع يعود من جديد أما إتجاه الجنوب فيأخذك إلى آخر مدن جنوب فلسطين خانيونس التي لا بد أن تذكرك بمجازر الحقد عام ١٩٥٦ ومجازر عام ١٩٦٧ إثر المقاومة الشرسة والمستميتة ورفح حيث الحدود المصرية لتنتقل بعد قليل إلى سينا العقوبة والضياح على الذين راوغوا نبهم وخذلوه حين أمره ربه أن يدخل الأرض المقدسة التي كتب الله عز وجل وقالوا " إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ولا بد أن تقودك قدماك شمالا إلى عمق فلسطين الساحل حيث عسقلان الرباط وأسودود التاريخ ويافا الصمود وحيفا الكرمل ثم عكا الشموخ بأحمد الجزار وسورها الذي لا زال شامخا يتحدى هدير البحر فاذا إتجهت من الميدان شمالا عبر شارع صلاح الدين وأطرقت قليلا تتذكر التاريخ والأمجاد ناداك كل جدار يحاذيك هتف بك كل حجر كل حبة رمل كل شيء كل شيء أن توقف فانت في شارع صلاح

الدين في كل شبر منه تجمعت بركة ماء نزلت من شهيد وعلى كل جدار إلتصقت قطع اللحم من الأشلاء من الشهداء أو من جثث الأعداء من وراء كل جدار أقيت قبيلة من فوق كل سطح إنهم الرصاص على دوريات المحتل يجره الموت وفي شارع صلاح الدين هنا إلى جوارك بامنتار تفجرت شرارة حرب السكاكين وفتحت مدرسة جديدة في تاريخ جهاد هذا الشعب العجيب وقبل أن تصل إلى ملتقى السكة الحديد التي كانت طويلة الوقت نسير إلى جوارك بهدوء ودون إحساس منك حيث المزلقان وإلى جوارك تجد ما إصطلح الأهالي على تسميته السنافور عامود الكهرباء المركزي شامخ الرأس مشرب العنق وإلى جواره تجد ضريح الشيخ بشير حيث تلقى العجايز قطع النقود المعدنية ويشعلن الشموع تباركا بالولي قبل أن تصل لا بد أن يشف سمعك نداء ونداء ونداء لتدرك أنه قد حان وقت الصلاة فتسمع نداءات الصلاة من ما يزيد على ثلاثين مسجدا من جميع الاتجاهات في كل شبر مسجد ولن تجد صعوبة في أن تدخل أحد تلك المساجد العديدة شرق الطريق أو غربه مساجد الشجاعة تناديك من إتجاهات الشرق الدارقطني ، سيدنا علي ، السيدة رقية ، ابن عفان ، القزوري ، البواشي ، ابن مروان ، الإصلاح ، التوفيق ، المنطار ، وتتنافس عليك مساجد الدرج من إتجاهات الغرب السدرة ، الأبيكي ، ابن سلطان ، الصحابة ، المغربي ، علي ابن أبي طالب ، القسام ، المحطة ، السيد هاشم ، الهجاني وغيرها ولكن كم خطوة تظن أن بإمكانك السير دون توقف للذكريات أو دون توقف

إضطرابي ليس لأن الازدحام شديد لهذه الدرجة ولكن لأن دورية من جيش العدو إستوقفتك للتدقيق في بطاقتك الشخصية وللتأكد أن إسمك ليس مدرجا في قائمة المطلوبين في يد ضابط الدورية وللتأكد أيضا أنك لا تحمل تحت ثيابك سكيناً أو قناعاً أو زجاجة حارقة أو حتى حجر وإن نجوت حيث أن إسمك ليس في القائمة وثيابك خالية من المطلوبات المذكورة فقد لا تنجو إن كانت يداك مضمومتين بتراب فلسطين فتلك جريمة يحاسب عليها القانون العسكري في غزة وقد يدعو الأمر لاعتقالك إحترازا فترة أقلها ٨ أياما دون تحقيق أو إتهام فحاذر إن جئت زائرا غزة أن تمس ترابها أو حجارتها أو جدرانها أو... فكل ذلك ممنوع عند قوات الاحتلال وإلا فقد أخللت بالأمن العام ووجبت عليك العقوبة التي يفرضها قانون الغاب الذي يلبس زي وقبعة جيش الاحتلال في غزة هذه هي غزة .. غزة شاطيء الأبيض المتوسط أقرب النقاط تماسا لمدينة عسقلان التي إحتلها العدو عام ٤٨ وسماها أشكلون والتي قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني بسند صحيح " خير رباطكم عسقلان " واليوم ليس في عسقلان المدينة مسلم واحد اللهم إلا بضع مئات من السجناء في سجن عسقلان المركزي فلا شك أن الشاطيء الغربي هو ذاته شاطيء عسقلان فالفارق لا يزيد على عشرين كيلو متر تقطعها السيارة في دقائق معدودة فهذه عسقلان خير الرباط وهذه إلى جوارها غزة الرباط قلعة شامخة من قلاع الدين حامية العقيدة وإن شئت أن تتأكد فأحصى مساجدها

أو معاملها الإسلامية أو إن شئت فانظر في شوارعها لترى في الوجوه في الكلام في السلام في المعاملة في اللحن أو في الحجاب أو في الإحتشام وإن شئت أن تسير نحو الحقيقة أكثر فتعامل مع أهلها لتجد الروح الدفاعة بالمطاء والتضحية والنفس الصدمية التي ترفض الخنوع والذلة غزة هذه شيء آخر في شوارعها اليوم خاصة كما هي شيء آخر في نفوس أهلها أيضا لاشك أنك لو كنت قادما لزيارة غزة من كوكب آخر غير أرضنا هذه ولم تسمع شيء عن ملحمة وأسطورة غزة من قبل لاشك أنه سينتابك شعور بالرهبة أو الخوف أو العجب فما بال هذه الجدران والأبواب كلها على الإطلاق ملطخة بالوان مختلفة من الطلاء ؟ وما بال الوجوه فيها التحفز على أشده والعيون أشبه ما تكون بعيون النور أو الصقور تبحث عن صيد ولا تجده تلك هي غزة قالوا عنها في مطلع ١٩٨٧ أنها ثقب أسود في رأس إسرائيل وقالوا عنها الجرح النازف الذي كلما ظنوه جف عاد فتدفق الدم أكثر من قبل وقالوا عنها برميل بارود وقالوا عنها قنبلة موقوتة وكتب أحد أشبالها على جدار المسجد بعلبة الطلاء " أبها اليهود تمالوا إلى الموت في غزة " وفي اليوم التالي كان كبار محلي الصحافة عند العدو يكتبون النداء في عناوين تحليلاتهم فماذا حدث حتى كان ما كان ؟! فجأة أرتفع صراخ قادة العدو ومسؤوليه واكتشفوا أن تقارير مخبراتهم غير دقيقة وليس مجرد ذلك بل وغير صحيحة فقد كانت التقارير تؤكد أن غزة قد إنتهت ذات كانت ولم تعد ، باقية وبها الحشيش والأفيون دمرها

الكوكائين والبروين ونخر عظمها الفساد الأخلاقي وعشت فيها شبكات العملاء هكذا تصوروها فكتبوا تقاريرهم فتنفس الجميع الصعداء فغزة هذه أطارت النوم من رؤوسهم طويلا وحرموا دخولها مرارا إلتقطوا أنفاسهم وقبل أن يكملوا إلتقاطها إكتشفوا أنهم واهمون فاشتعلت غزة نارا من كل حذب وصوب فقد نادت المآذن جميعها بصوت واحد لا تردد فيه ولا تلجلج بسم الله أكبر بسم الله قد حانت خيبر وردد الأهالي النداء من أعماق قلوبهم فلطالما إنتظروا نداء المآذن ومرة أخرى هتفت مآذن المساجد خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود فرددت أرواح الأهالي طوعا وكرها فلطالما إنتظرت الأرواح والضامير عودة جيش محمد إشتعلت غزة نارا وطارت حماسا في كل زقاق في كل حارة في كل بيت واحتدت النار وولد الحماس الحماس وسال الدم وطلب الدم الدم فسال الدم أنهارا وبدأت الملحمة الأسطورة المعجزة وأستيقظ الأطفال على نداء المسجد في الحارة الدم الدم وسال كل واحد منهم أمه ماذا حدث ؟ وأجابت الأمهات جميعا جيش محمد سوف يعود وسال الأطفال ماذا يعني ؟ وصرخت الأمهات وقد إرتفعت حدة الصوت إحمل حجرا أو سكيننا لا تتأخر صرخ الطفل نظروا وزمجر خيبر خيبر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر ، ها قد أبشرها قد أبشر وبمئذنتي أشمخ أكثر أصدع أكثر خيبر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر ، سجن يفتح لن تتأخر بيت يهدم شبل يزار عظم يكسر شعب يثار جرح يدمي مرعى مرعى لن تتأخر لن نتقهقر لن نتراجع لن تتأخر والشيخ المعجزة

ينادي والشعب المعطاء تفجر خيبر خيبر لن تتأخر والطفل تنامي في عز والحجر تعالى ويتلوه الخنجر خيبر خيبر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر والطفل تنامي في عز هذا أشرف ذا يتبختر خنجر خنجر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر لن تتأخر لن تتأخر تلك هي غزة شعلة من الحماس فوهة البركان العملاق العالي .

الفصل الأول : النشأة

والمقدمات لبان الحب الفهم والانتماء هذا بالتحديد وعلى بعد عشرات الأمتار فقط من وقوفك عند مفرق السنافور وملتقى السكة الحديد بالخط العام وفي شارع فرعي جانبي وبسهولة تعثر على أنقاض بيت مدمر ذاك هو البيت الذي نشأ فيه فارسنا وعاش فيه سني حياته بين الوالدين يحوطانه بالحب وأخوته أحدهما يكبره أدهم ٢١ عام والثاني يصغره محمد ١٧ عام وأختين تكبرانه تزوجتا فيما بعد في هذا البيت تربى فارسنا ورضع لبان حبه وفهم إنتمائه لبان حبه لهذه الأرض التي درج عليها منذ نعومة أظفاره فطالما إلتقفته بكل الحنان وهو يخطو خطواته الأولى يحدو ويدرج قريبا من باب المنزل بين أولاد الحارة وأقران الطفولة لبان فهمه لعمق المأساة فغزة هذه عزيزة لعزتها على كل فلسطيني ولأنها مسقط الرأس ولكنه فهم جيدا من أحاديث الجدة وسمع طويلا قصصا عن أيام العز في السبع وطالما سأل أشرف الطفل جدته ما هي السبع ؟ وفهم بعد أن كبر وأصبح قادرا أن يفهم أن السبع هذه هي

مدينة بئر السبع التي يسميها اليهود اليوم بئر شيفع وأن أيام عز ودلال عاشتها الجدة مع الجد وطفلها حسن وأخواته الأثنين قصص لا حصر لها عن ماضي العز والدلال في بئر السبع قبل أن يتبدل الحال ويضطر الجد والعائلة أن يملأوا الأطفال ويطيروا من المذابح والمجازر تاركين وراءهم كل شيء. الأرض الدار الأثاث وكل شيء حتى وتاركين وراءهم واحدة من ساقى الجد التي قطعتها إحدى شطابيا قنابل الجزارين أعداء الحياة التي ألقتها طائراتهم أو قذفتها مدافعهم على الأهالي المزل لطردهم إلى أي مكان ولو كان الجحيم ، رضع لبنان فهم لعمق المأساة حين كان يتحدث للجددة وبمعجب لماذا لا نجيب وتظل تتحدث في غير الموضوع الذي يريد ؟ لماذا لا نجيبه على سؤاله عن الدار أو لماذا ؟ وبمعجب لماذا يرفع والديه أصواتهم كثيرا عندما يتحدثان للجددة ؟ حتى يضيق ذرعا من إرتفاع الصوت ليفهم بعد حين معنى الكلمة التي قالوها له مرات عديدة حين سأل عن سبب ذلك الصراخ أن جدته صماء !! ويسأل الطفل الذي بدأ يدرك معنى صماء ، يسأل ما السبب ؟ لماذا جدتي هكذا لا تسمع ؟ ليفهم ويرضع لبنان الفهم أن ذلك أمر طاري. فقد كانت الجدة تتمتع بسمع مرهف ولكنه ذهب يوم ألقت طائرات العدو أوقدة مدافعهم لسانا ندرى المهم حين سقطت إحدى القذائف على البيت ودمرت معظمه محدثة دوبا هائلا أصم الجدة وأذهب سمعها وأصيب الأهل برعب شديد وبدأوا من جديد يحاولون ترميم وإصلاح ما لحق بالبيت من خراب وقد كانوا في أمس الحاجة لكل

قرش وقد كان للقرش آنذاك قيمته وكثيرا ما قالت الجدة الليرة كانت تساوي بلاد وعباد فالحالة كانت صعبة للغاية وكان الله في عون الناس هنا في هذه الحارة التي يسمونها حارة التفاح نشأ فارسنا وترعرع ورضع لبنان الانتماء وهو يسمع النداء الخالد خمس مرات يوميا ومن عشرات المساجد المبعثرة في كل شبر في الحارة وحول البيت وهو يرى الرجال يهرولون مسرعين للمسجد هذا أو ذاك يؤدون الصلاة وهو واقف بباب المسجد مع أقران الطفولة يتفرجون عليهم وهم يصطفون صفوا واحداً يركعون ويسجدون ويقومون ليخرجوا للحياة من جديد يذكر فارسنا أحاديث الوالدة عن أخواله الذين أبعدتهم سلطات الاحتلال بعد إحتلال القطاع عام ٦٧ إلى مصر فقد كانوا من الإخوان المسلمين طالما سمع القصص عن خاله الشيخ ظاهر شبانة أو بدر شبانة الذين كانا من الإخوان المسلمين ولم يكن يدرك ماذا تعني هذه الكلمتان سوى أن الوالدة طالما حشته وإخوانه على الصلاة " عشان يكونوا رجال بحق وحقيقة ترى أخوالهم الشيخ ظاهر شبانة وبدر شبانة من الإخوان المسلمين في هذه الحارة درج أشرف وكبر وترعرع في هذا الزقاق حيث

كل لعبة وفي ظلال النافور الشامخ لعبوا مرات الكرة في
ساحة صغيرة شرقي الطريق العام الى جوار ضريح الشيخ
بشير حيث يخرج الصبيان كل يوم عند العصر ومعهم
الكرة التي يشترونها جميعا بعد أن يجمعوا ثمنها من
مصروف الجيب الذي يقبضونه في الصباح وهم في طريقهم
للمدرسة ويلعبوا فريقان ليس من حقهم أن يلعبوا حتى
ولو طار أحد الصبية وراه الكرة حين راحت على الطريق
العام ولا يبالي أن تصدمه السيارات فالأهم ألا تضيع الكرة
فليس سهلا شراء غيرها وذلك يعني حرمان يوم آخر أو
يومين من شراء حاجة المدرسة وفي هذا الطريق ست أيام
في الأسبوع مرتين كل يوم أمر على السنافور على مدرستي
سنوات الابتدائية لأصل الى مدرستي الهاشمية على بعد
مئات الأمتار وعلى مدار ثلاثة أخرى أثناء الدراسة في
مدرسة الشجاعة الاعدادية للأجئين مئات الأطفال ذاهبون
في الصباح تشرب أعناقهم لتناول السنافور أيبون عند
الظهر لنحاول مطاولته أيضا زيادة على عشر سنوات وأشرف
ذاهب أيب كل يوم وحقيبة دفاتره في يده والصبية معه
ومن حوله يتلاعبون ويتصايحون والنافور هو السنافور في
مكانه لا يتزحزح خطوة واحدة للدواء ولا زال مرتفع الرأس
لم ينحني رغم السنون والأهات وضجة العربات المصفحة
مدججة بجنود الاحتلال تحوم حوله ليل نهار في أحد الأيام
لم تستطع الوالدة أن تخفي فرحتها فارتسمت أعرض بسمه
على وجهها منذ أربعين سنة فهذا أشرف أصبح رجلا جاء
عند المغرب تطيره الفرحة ووقف قبالة الوالدة التي

إنهمكت في عمل البيت ومد يده الى جيبه وأخرج شيئا ومد
يده ليعطيها راتبه بضعة آلاف من الليرات قبضها قبل
لحظات من صاحب المطبعة التي إعتاد أن يعمل فيها بعد
رواحه من المدرسة منذ شهر نظرت الوالدة من ١٩ ماذا ١٩
ودارت الأفكار بعيدا هذا أشرف أصبح رجلا بلغ العاشرة من
عمره وما هو عمل في المطبعة التي أخذه الوالد لها عند
صديق له هو صاحبها ليعلم كيف يكون رجلا يصرع الصعاب
ولا تصرعه وإذا الأمر جد فهذا أشرف مائل أمامها وبده
ممتدة بالأوراق النقدية عدة آلاف من الليرات ليس لها قيمة
كبيرة في الشراء ولكنها ذات معنى كبير كبير جدا للام
تري طفلها رجلا يعمل ويكسب ويأتي ليسلمها راتبه
الشهري هناك قريبا من المطبعة كانت نخلات منتزه
الميدان أيضا لا تزال مكانها لم تتزحزح ولا تزال واقفة
منتصبة فروعها في السماء وسقفها منقوشة الكلمات عليه
لا سلم أو يجلو عن الوجه الرغام لا صلح لا سلم لا إستسلام
فني الليل يحلو الجلوس تحت هذه النخلات أو اللعب على
السندس المائل في المنتزه خاصة في ليالي رمضان وأجمله
الاختفاء خلف جذوع النخل المنتصبة من الصبية الأقران
أثناء اللعب كما يحلو السير ليلا في شارع الوحدة أو شارع
عمر المختار والقفز هنا وهناك على الرصيف وفي وسط
الطريق والقفز من فوق مواسير الرصيف والتعلق بمواسير
عرض البضائع أمام المحلات المفلقة وأجمله أن يطارد
الصبية بعضهم بعضا وأن يتدافعوا ويتضاحكوا ويتشاجروا
ليجمعهم في النهاية بفرح وسعادة بوظة أبو فتحي لتبدأ

طريق العودة بالتدافع والتضاحك والتشاجن حتى ينتهي المطاف بالفراش الدافئ الذي أعدته الوالدة لفارس أحلامها أشرف إلى جوار أدهم ومحمد ذات يوم حدث ضجة كبيرة في الشارع وهرب الناس مسرعين من المكان وهم يتهايمون ذبحوا يهودي ذبحوه دمه ملاً الأرض كان ذلك على بعد عشرة أمتار أو عشرين فقط من البيت حين تمكن أحد الفدائيين بخفة ورشاقة أن يذبح ذلك اليهودي وهو منحني على بسطة الخضار فإذا هو يتخبط في دمه وشاع الخبر في المنطقة كالنار في الهشيم وبعد لحظات كان الشارع شيئاً آخر فمئات الجنود مدججين بالسلاح وسيارات ضباط المخابرات وسيارات الجيش والحاكم العسكري والناس تتسأل هل مات ؟ لا أحد يعرف الإجابة بعد لتعود الحياة إلى طبيعتها بعد أيام ولكن تقلص تردد اليهود على المنطقة بشكل ملحوظ ، أنهى أشرف دراسته الإعدادية بنجاح والتحق بمدرسة بافا الثانوية على بعد مئات الأمتار فقط غربي البيت فبدأ خط السير يتغير وإن ظل يومياً يقابل السنافور المرتين اللتين إعتادهما على مدار تسع سنوات كاملة في الصباح وعند الظهر والسنافور هو السنافور كما وأنه إنقطع عن العمل في المنطقة فقد كبر والمطبعة لا يلزمها عمال في مثل سنه ولكن نخلات المنتزه هي نخلات المنتزه .

الفصل الثاني : الشرارة والتمايز والوضوح :

واستيقظ الأطفال على نداء المسجد في الحارة الدم الدم وسأل كل واحد منهم أمه ماذا حدث وأجابت الأمهات جميعاً

جيش محمد سوف يعود وسأل الأطفال ماذا يعني وصرخت الأمهات وقد ارتفعت حدة الصوت إحمل حجراً أو سكيناً لا تتأخر كان ذلك في أواخر عام ٨٧ في التاسع من كانون أول ديسمبر حيث اشتعلت غزة نارا أو بدأ التاريخ يسجل لمرحلة جديدة في حياة الشعب الفلسطيني مرحلة الانتفاضة المباركة وامتدت نيران الحجارة الذي غلى في الصدور لتشمل كل أزقة وشوارع وحارات غزة كل غزة لتمتد بعد حين لتشمل كل مدن وقرى وعزب وحارات وشوارع فلسطين الغالية إمتدت نيران الحماس الذي تاجع في النفوس فجاء ميلاداً عظيماً لأخطر أحداث المنطقة في هذه الحقبة من التاريخ إمتدت النيران عبر مكبرات الصوت من قمم مآذن المساجد لترددها أذان الشعب الذي طال صبره وطال إنتظاره إلى قلوب تيقنت أن هذا هو الطريق فانطلقت جماهير شعبنا العظيم تصنع المعجزات وتسطر التاريخ بحروف من مجد ومن نار ومن دم ومن دمع بدأ الحماس شرارة وإذا بنيرانه تشتعل في كل مكان لتغطي وجه الأرض الطاهرة ويتوالد الحماس في الصدور ليجمع من فعالياته أعذب أنشودة عرفت موسيقاها على أزيز الرصاص ودوي قنابل الغاز وهدير سيارات المحتل وأصوات فرقة إطاراتها بفعل المسامير التي دقت في الأرض وصوت تحطم زجاجها بفعل الحجارة المباركة تنهمر من كل صوب وتزداد عذوبتها حين يحشد الحادون بالتهليل والتكبير والتهنأ العلوي الخالد خير خير يا يهود جيش محمد سوف يعود وإنتبأ الأهالي أكثر من مرة على صوت النداء

رجالهم ونساؤهم كبارهم وصغارهم والأشبال إنتبه أشرف على أصوات مكبرات المساجد تنادي من كل إتجاه حي على الجهاد تميز فيها بصورة خاصة مسجد الأبيكي على بعد عشرات الأمتار فقط غربي البيت وإذا بالمنطقة كلها تشتمل نارا هاج الناس وماجوا وتدافعت جموعهم عبر الأزقة إلى الشوارع والطرق وإذا بالآلاف الجبهات تفتح في كل مكان لشهال الحجارة القاضية على رؤوس جنود الاحتلال ، في صباح أحد الأيام المشرقة الهدوء يخيم على المنطقة قبيل الساعة السابعة بقليل فإذا ما إقتربت عقاربها من الساعة بدأت الحركة في الظهور وارتفعت الأصوات تدريجيا إذ بدأ الطلاب في التوجه لمدارسهم فرادى وجماعات حملت حقبتي وخرجت باسماء اليوم الجديد متجها للمدرسة إلى يافا الثانوية وعلى الوجوه من حولي ابتسامات مشرقة لليوم الجديد وقبل أن يدق الجرس جرس طابور الصباح بدأت أحس أن حركة غريبة في فناء المدرسة الطلاب يتهايمون ماذا حدث ووصل إلى أذني همسة من صديق يجب أن يكون لنا دور في الأحداث مدرسة يافا يجب أن تقف وقفها اللاتقة يجب أن تخرج في مظاهرة عنيفة ونفتح مواجهات شرسة في المنطقة وتحولت الابتسامات فجأة إلى نظرات إصرار وعزيمة إستعداد وتحفز وبدأ الهتاف الخالد بسم الله الله أكبر بسم الله قد حانت خبير وقصفت أصوات الطلاب الهادرة في الفناء وخفقت القلوب وداعب الهتاف شفافها فازدادت حدة النبض وتدفق الدم للمعروق حارا غزيرا وانفعلت واغرورقت عيناى بالدمع الساخن أحاسيس عجيبة

كانت تغمزني وأنا أهتف من أعماق قلبي من وسط الجمع الهادر أخذتني الذكريات بعيدا لبشر السبع لأيام العز والدلال لساق الجد لسمع الجدة للبيت الذي تهدم ورجعت بي للمسيرة الهادرة وللصدور المزمجرة صدور الفتيان ستة عشر عاما تغلي بالحماس وحب المجد والمزة تقدمت الجموع قليلا قليلا متجهة عبر شارع السدرة أمام البوابة الرئيسية للمدرسة وفجأة ظهرت سيارات جيش العدو وهناك بعيدا توقفت ونزل الجنود وتمرسوا بسياراتهم وراء الجدران والزوايا وبدأوا بصورة محمومة باطلاق النار وقنابل الغاز وكان لزاما علينا أن نفترق ونأخذ مواقعنا لنتحصن من الرصاص وتبدأ فقرة جديدة من الأنشطة العذبة على أزيز الرصاص فرقة قنابل الغاز وصراخ الفتيان من هنا ومن هناك إنتبه إلتفوا حولهم من الشرق والتكبير والتهليل كانت مواجهة رائعة عبقت فيها أنوفنا رائحة الغاز المسيل للدموع لم نتصر كما نحب بأن نجعلهم يتراجعون كثيرا أمام حجارتنا فلم نكن نستطع أن نقدفها حتى تصلهم فقد كانوا أجبن من أن يقتربوا ليكونوا في مرمى أيدينا ومن بعيد فقط كانوا يصوبون بنادقهم لتقتنص كل من يعرض نفسه لها خارجا من وراء مكمنه ولكننا حققنا بعض النجاحات فقد أشعلنا المنطقة حماسا وقطعنا الطريقي عدة ساعات فمعلنا حركة مرور سياراتهم التي إعتادت أن تتحرك عبر هذه الطريق قادمة من أرضا المحتلة منذ ٤٨ إلى الدوائر الحكومية في غزة والأجمل أننا أثبتنا أننا قادرون على الصدام والتحدي

فرحنا وسالت دموعنا واحمرت الميون وعطسنا كثيرا
 بفعل الغاز وفي الختام رجعنا الى البيوت نتوعد ليوم الغد
 الحافل بالمواجهات وتكرار الموقف مرات هاجمنا سياراتهم
 طاردنا جنودهم وطاردونا قطعنا الطريق تقدمنا حتى شارع
 الوحدة وتراجعنا أمام رصاصهم حتى يافا الثانية ومرة
 إقبحوا المدرسة علينا بأعداد ضخمة من الجنود تكاد تفوق
 عددنا في المدرسة وهكذا الحياة يوم لك ويوم عليك والوغي
 دوما سجال لكننا في كل مرة كانت تشتعل نفوسنا بمزيد
 من الحماس والاصرار كما كل شعبنا على إمتداد أرضنا
 الطاهرة لست أدري لماذا كانت تنهر الدموع ساخنة عندما
 تبدأ المسيرة ويهدر الصوت بالهتاف إنفعالات عذبة كانت
 تجتاحني وتعصف بمزادي وأحاول أن أحبس الدمع أخفيه
 أمسه حياء من الأقران من حولي وأرى من بين الأيدي
 الملوحة بعلامة النصر أو بشارة التوحيد كل الوجوه يسبح
 عليها الدمع سحا الميون كلها حمراء تنهر منها الدموع
 يارب لماذا هذا البكاء ألا تستطيع أن تضبط هذه الميون
 فتكف عن سكسها حاولت جاهدتها وفي كل مرة كانت
 تغلبني وإلى جوارتي كانت تغلب أيضا محمد أو حسن أو
 خالد أو عبد الجبار ، ما هو تفسير هذا الدمع ؟ لماذا يغلبنا
 هذا الحد نحن ضعفاء ظلت هذه الدموع تحيرني والأسئلة
 تدق أبواب دماغي ولا أجد الجواب ولكلما يرتفع الصوت
 أكثر كلما هدرت الجموع أكثر بالتلهيل والتكبير والهتاف
 زاد الدمع إنهمارا لماذا ؟ خشيت أن يكون ذلك بفعل الخوف
 واكتشفت في كل مرة أنه ليس السبب فعلى الفور وحين

أسمع أول رصاصة أو أرى أول خوزة على رأس أحد جنودهم
 أو أرى درعه البلاستيكي أمامه يحتمي به من أرتال
 حجارتنا على الفور يتوقف الدمع وتتجلد الدموع على خدي
 وتتجحر تلك التي لا زالت في العين الأرض تجذبها إليها
 بشدة وعنف والعين تصر على إسترجاعها مرة أخرى
 وتعصف بي المشاعر أكاد أن أكون عرفت السبب سبب ذلك
 الدمع في عيني وكل الميون من حولي تتجلد الدموع
 وتتحول إلى إصرار عجيب كنت أحسد نفسي عليه في كل
 مرة إرادة عجيبة على عدم التراجع على صرع الصواب أه
 بالحياة العمل في المطبعة قبل سنوات المس أثارها جيدا
 في مواقفي في دموعي المنهمة وحتى المتجلدة أو
 المتحجرة أكاد أدرك السبب عطش رهيب في الأرض رغم أن
 الشتاء لم يرحل بعد والموسم غزير المطر والأرض موزقة
 مزهرة ووجداني كل كياني بل كل ما حولي من أحياء
 وكائنات بل وجمادات الكل يهتز يلتحم معا معنى واحد
 جميل جليل عظيم عجيب وشاعري جذاب تمتزج فيه
 الفرقة بالألم والشوق بالكراهية والحذر بالغامرة والأرض
 بالإنسان أصبح حبي للأرض أكثر من كل لحظة مضت
 غدوت أشعر أن عشقا ملا على روحي لكل شيء في طريقي
 للأرض للشجر للحجر للجدران وللمسجد والمدرسة إتصال
 عجيب والتحام مذهل وحب جنوني ألم يكن هذا الحب في
 صدري منذ أيام ؟! لست أدري ولكني لم أكن أستشعره كما
 هو الآن إذا ما هو السبب ؟ كيف تفجرت هذه المواقف
 الفياضة إنسجت بنابيع هذا الحب الفامر المشق العجيب ؟

ما السبب ؟ لا أزال أبحث عنه ولكنني واثق أنني سأجده إنني على يقين أنه بين ضلوعي بين ضلوعنا جميعا أنا وكل الأحبة في يافا الثانوية بل وكل الأحبة في حارة التفاح في محلة الدرج في غزة بل وعلى إمتداد الأرض الطاهرة فسأبحث عنه أنا واثق سأجده في عمق كياني في روحي أفلقتهم يافا الثانوية بدرجة كبيرة فموقعها على طريق تحركهم وتجمع قرابة خمسمائة طالب فيها يجعلها مركزا حساسا للاحتكاك والصدام والمواجهة شبه اليومية وبعد فترة أدركوا ذلك فقرروا نقلنا منها إلى مدرسة الفرات في أقصى شرق الشجاعة هناك بعيدا جدا عن بيوتنا وعن حركة مواصلاتهم حاولنا طويلا أن نفشل القرار ولكنهم إستماتوا لتغييرهم فقد أطارت يافا الثانوية كما الكثير من المدارس النوم من عيونهم وتفاقت الأحداث ولم تنضبط الدراسة بين يافا والفرات والاضراب والمواجهات فكان علي أن أتجه في حياتي وجهة جديدة فالبيت لوازمه كثيرة والوالد لم يعد قادر على تلبية كل تلك الطلبات حيث كبرت به الأيام فقد قارب الستين فبدأت رحلتي في العمل ، أثناء العمل إنتسبت لمدرسة الفالوجا الثانوية في جباليا حيث تمكنت من الحصول على شهادتي الأول الثانوي والثاني الثانوي ولم تسنح الفرصة للحصول على الثانوية العامة مرات قليلة جدا تلك التي أذكر أنني خرجت فيها من البيت مبكرا قبل هذه المرحلة من حياتي أي قبل الساعة السادسة صباحا لكنني كنت أدرك أن حركة وضوضاء كثيرة تحدث في شارع صلاح الدين على بعد عشرات الأمتار فقط شرقي

البيت كل صباح ما عدا صباح يوم السبت حيث أعداد كبيرة من العمال يخرجون للعمل في داخل الأراضي المحتلة منذ عام ٤٨ ولم يقدر لي أن أتعرف على حدود هذه الظاهرة بصورة كاملة فمع كل خيط جديد من شعاع الشمس التي تبدأ في الظهور هناك من خلف المنظار تخف الحركة تدريجيا حيث يرحل العمال يحملون طعامهم وأدوات عملهم في حقائب يعلقونها في أكتافهم أو سلات البلاستيك المبطنة بأكياس الخيش أو قطع القماش السميك يرحلون نحو الشمال وما إن تغمر الشمس الأفق وتقترب ساعة خروجنا للمدرسة حتى تكون الحركة قد تقلصت أو شارفت على الانتهاء حركة الصباح هذه لم يقدر لي أن أعرفها على صورتها وحجمها الحقيقي ولكنني كنت أدرك شيئا أوضح عن حركة المساء حيث أراها في معظم الأيام أو أرى فقرات هامة منها حيث أقف مع بعض الأقران عند حافة شارعنا بالقرب من المزلقان نرقب حركة آلاف السيارات من شتى الأنواع عائدة وهي تحمل العمال بعد يوم العمل الطويل لم يقدر لي أن سافرت بعيدا أو خرجت في مشوار طويل تلزمه السيارات فلم أكن أدرك جيدا ماذا يعني هذه الحركة بالضبط لأولئك الذاهبين الأيبين السارحين المائدين وحقائبهم على أكتافهم أو سلاتهم في أيديهم كان الوالد يخرج مثلهم كل صباح ويعود كل مساء والحقيبة معلقة كحقائبهم كنت أدرك جيدا طبيعة محتويات تلك الحقائب وطالما تساءلت هل أن كل هؤلاء الذاهبون الأيبون يتناولون طعام غدائهم مثل والدي ؟ هل كلهم محرومون ما توفره لنا

الوالدة حين عودتنا من المدرسة الخبز الطازج والطبخ الساخن وأرجاء البيت الدافئ. بالحب العامر بالحنان لم أكن أدري بالضبط كيف يعيشون ؟ وماذا يأكلون ؟ ماذا تحوي هذه الحقائق والسلات التي يحملون ؟ والأمر لم يكن يشغل بالي كثيرا صحيح أنه يبدق كثيرا في رأسي وأنا أقف من بعيد أراقب الحركة ولكن إذا ما استدرت مع الأقران أصبحنا في عالم آخر كنت أرى والذي كل يوم حين يعود أراه منهكاً متعباً للغاية ولكنه سعيد للغاية خاصة حين يرى ثوبه الجديد أو حذاء بهء العام الدراسي أو الحقيبة الجديدة في معظم الأيام كنت أستيقظ فلا أجده في البيت وأدركت فيما بعد أنه يخرج مبكراً قبل بزوغ أول إشعاعات الشمس للعمل إذا علمي الآن أن أعيش تلك الحياة وأعرف أسرارها من داخلها لم أكن قد تجاوزت السادسة عشر عندما بدأت أحمل حقيبتي التي تعدها والدتي لي مثل حقيبة والذي وحقيبة أدهم لأخرج في الصباح أنتظر زوج خالتي ليصطحبني معه للعمل كانت المرة الأولى عجيبه حياة جديدة وعالم جديد أقتحمه اليوم وفتحت عيني على حقيقة هذه الظاهرة يا للهول عشرات آلاف العمال ينتقلون يوميا يسافر أقلهم ساعة ذهابا وساعة إيابا حتى يصل مكان عمله والبعض يسافر الساعات حملت الحقيبة وودعتني عيون الوالدة والأخوات بكل الاشفاق الذي عرفته المعمورة منذ خلقت وخرجت أنتظر زوج خالتي في المكان الذي حددته لي ليلة أمس ركبنا السيارة مع عمال آخرين وانطلقت نحو الشمال كانت قديمة من نوع بيجو لست

أعرف حول موديلات السيارات شيء ولا في سنوات إنتاجها وبين الآلاف من مثيلاتها وشبهاتها انطلقت تنهب الأرض وعيوني تنظر مرة على اليمين ومرة على الشمال أشعر بحب عظيم لهذه الأرض التي نطأها قدمي أو عجلات السيارة التي أركب للمرة الأولى إحساس عجيب ومزيج من المشاعر بين الحب والاعجاب والدهشة والاشفاق والفراة والفضول الطريق طويل وممتد والسيارات منطلقة وأنا أعجب من هذه السيارات القديمة التي لا تتفكك أوصلها وهي منطلقة بهذه السرعة العجيبة أو لا تنحرف عن مسارها فترتطم بعضها ببعض الآخر أو تنحدر هناك بعيدا على جانب الطريق وبدأ المقاتل في شرح العمل المطلوب مني بالضبط وأنا أحاول مساعدته في العمل التي يجب أن أقوم به أنا في الأيام القادمة وحتى يأذن الله عز وجل في أمري أعد الخطة هو الذي أنجز معظم العمل وأنا أحاول المساعدة أو أراقبه وهو يعمل ليبدأ بعد ذلك في مزاولة عمله المطلوب منه وهو إجراء بعض الإصلاحات في الجدران فهمت بعد حين أنهم يسمون هذا العمل بالعبرية "توكنيم" يعني ترميمات أو إصلاحات وبدأت أقوم بدوري في ماولته ما يلزم من مواد وأدوات أو بالتنظيف خلفه ويوم بعد يوم اعتاد على العمل أكثر وأعرف عن حياة هذه الطائفة المزيد والمزيد أكلت الخبز البارد والبائت وبدأت أعتاد على الطبخ البارد الذي أعد في اليوم السابق يا الله هذه حياة جديدة قاسية صعبة فظة لا تعرف الرحمة خاصة على صغار السن الذين لم يقسوا عظمهم بعد شعور عجيب بالشوق لدفع

البيت وحرارة الأمومة وردعة الحياة الرغدة الهادئة ولكن لا بد مما ليس به فهل تصرعني الصعوبات وكانت الأدوات التي تلزم زوج خالتي في العمل كثيرة ولا يستطيع نقلها يوميا في ذهابه وإيابه لذا استأجر بيتا قديما في تل أبيب قرب التحنة المركزية اه لقد بدأت أعرف شيئا من العبرية بل وبدأت بعض ألفاظها تنساب في حديثي رغم عني فالتحنة المركزية هذه هي محطة الأتوبيسات هذا الحي اسم شبيرا إستاجر فيه بيتا وضع فيه الأدوات والتي كانت بعض الأخشاب وأدوات البناء والقضارة الحديدية والبلاستيكية والدلاء وغيرها ، في معظم الأوقات كان لا بد من التردد على هذا المكان لأخذ بعض الأدوات للعمل أو إرجاعها هنا بدأت أدرك أن مأساة أخرى موجودة في حياة هذه الشريحة من شعبنا فالآلاف منهم يبيتون في أماكن عملهم وفي ظروف غاية في القسوة كذلك التي عشتها فيما بعد ولذلك أسباب عدة تفرض عليهم المبيت أهمها مشقة السفر اليومي ذهابا للعمل وإيابا منه أو توفيرا لتكاليف أجرة السيارات التي قد تصل أجرة اليوم خاصة للعمال غير الحرفيين مثلي بدأت أدرك ذلك وكان لازما علي أن أأخذوا حذوهم ولم أجد مكانا أنسب من البيت المستأجر لأدوات البناء وبدأت أنا وآخرون المبيت هناك بين أكوام الأدوات نأكل وننام ونسهر ونعيش ونشرب الشاي حيث نعود للبيت في غرة مساء الجمعة لنعود للعمل والمبيت صباح الأحد إستمر الحال هذا حوالي نصف سنة إنتقلت بعدها للعمل في مكان آخر كان يعمل فيه أدهم أخي من قبل وهو

مخزن للألمنيوم فقد قبل أدهم في معهد المعلمين في رام الله وأمام إصرار الأهل أن يذهب لإكمال دراسته غلبوه وقد كان هو الآخر مصر على مزاولة العمل لكي يساعد في مصروف البيت وقد قرر أن يذهب للدراسة فقد أصبح مكانه في العمل شاغرا فانتقلت لأعمل مكانه بأجرة أفضل وظروف أحسن حيث العمل في المصانع أفضل منه في ورشات البناء ولكن المبيت ظل في البيت المستأجر في شبيرا في أدوات البناء وأكوام الخشب وبعض رفاق العمل ، حادث لا يفارق مخيلتي حين أذكر هذا المنزل فقد ترك بصماته في ذاكرتي بخيره وشره فالمبيت في داخل الأراضي المحتلة منذ ٤٨ ممنوع إلا بتصريح ومعروف أن الشرطة تطارد الحثالي وهم كثيرون ممن يبيتون دون تصريحات ذات ليلة إستدلت الشرطة على البيت المذكور فذاهمته حيث ضبطتنا فيه دون تصريحات وكنت أصغر الموجودين سنا كان نصيبي صفقة على وجهي جمعت الدنيا تظلم في عيني ولفترة طويلة زالت ظلمتها في وقت لاحق فكم صقع وضرب وركل آلاف أمثالي فهمت معنى جديد للحياة من تلك الصفقة لم يفهمني إياه الخبز البارد ولا الطبخ البائت ولا رحلات السفر الشاقة ولا فراق الأهل أسبوعا كاملا ولا النوم بين أكوام الخشب بعد يوم العمل الشاق معنى جديد جديد وخطير أحسست ببرودة الحديد تسري في جسدي من القيد الموضوع في قدمي وأقدام رفاقي في البيت وأقدام آلاف العمال وهم يبنون بأيديهم حضارة ودولة الاغتصاب معنى خطير شعرت به وأنا أصارع

الحياة على لقمة العيش لأسد ثغرة تركها أدهم بانتقاله
لاكمال دراسته وتركها الوالد وقد تقدمت به السنون معنى
جديد بدأ ينعكس على فهمي للحياة لم أكن أدركه بهذا
الحجم وهذه الخطورة صحيح أنني كنت أفهم أنا نميش
تحت نير الاحتلال وصحيح أنني كنت مع إخوتي طلاب
مدرسة يافا في مواجهات وصدامات مع قوات الاحتلال ولكن
هذا درس جديد ومعنى جديد وفهم جديد تجمدت دموع
الغضب في قلبي كتل من الحسرة ، الثورة ، دعنا الآن من
هذا .. عملت في مخزن الألمنيوم هذا سنة تقريبا وعاد أدهم
للعمل في نفس المكان ولما خفت حدة العمل تركته لأعود
إلى غزة دخل أدهم في العمل وعندما تقرر أن يعود مرة
أخرى للمعهد عدت أنا للعمل في نفس المكان كنت عادة
المربي الوحيد في المخزن بين أربعة أو خمسة آخرين من
اليهود في كل كلمة في كل همسة في كل حرف حتى في
النظرات في العمل التي يطلب مني تأديته دونهم في كل
شيء حولي كنت ألمس العنصرية في الأمور لديهم بالتمييز
والتفوق أشعر أنهم ينظرون إلي وكأنهم في مكان عال حتى
في ضحكاتهم حتى وهم يمازحونني في كل ذلك لمست
شعورهم إتجاهي بالنقص والقصور والاحتقار وكنت أعجب
لذلك هل لهم أربع عيون ولي إثنان فقط أم لهم أربع أذان
ولي إثنان فقط ما هو السر في شعورهم ذلك ونظرتهم تلك
ومع كل نظرة كنت أشعر ببرودة القيد في أقدامي ببرودة
السلسلة الكبيرة التي تحوط أعناقنا جميعا الست أذكر
الحادث بالضبط ولكن ذات يوم طلب مني أحدهم أن أغسل

أرضية المخزن أه لقد لمست فيهم خبرة الاستعلاء وأنه
ينظر إلي نظرة الدونية أه بالبرودة القيد لهذا الحد يصل
البشر في الانحطاط ؟ لقد كان الوالد رائدا وحكيما يوم
وضعتني منذ طفولتي في المطبعة لأصرع الصناب فحياتنا
كلها صناب أو الصناب كلها حياتنا نظرت إليه وكنت أشعر
أن نظراتي اخترقت صدره لتملأ قلبه بالرعب فاستدار ولم
يراجعني لم لم أغسله ولكن ببرودة القيد سرت في أنحاء
جسدي وهزتني بعنف بشدة وبدأ واضحا لي بصورة جلية
أنه يوم مبارك ذلك اليوم الذي عرفت فيه حياة العمال
لتنضج الصورة في مخيلتي عن الحقيقة ، حقيقة الاستعباد
المغلقة بغلاف مزركش في زمن تكنولوجيا الخداع
والطلاءات وتوالت الأيام ومرت الأسابيع كان خالي يعمل
في مصنع للخياطة في منطقة الكرمل وقد أتيقت للمبيت
عنده حيث الظروف الحياتية أفضل وكان علي كل يوم أن
أنتقل سيرا على الأقدام مسافة طويلة ذاهبا للعمل وأيا منه
أرى فيها من القصص والحوادث والمشاهدات الشيء الكثير
رأيت الخواء في هذا المجتمع الذي لا يمتلك مقدمات
الاستمرارية والبقاء رأيت التهلكة على الحياة والصراع على
الدنيا والتباغض والتحاسد وتفرق القلوب فترة قاربت على
سنتين تلك التي قضيتها في وسطهم بدأت أدرك الأمور على
حقيقتها بشكل أدق ولكن الشيء الأهم الذي أدركته دوما
وشعرت به دوما أنهم يحقدون علينا حقدا لا حد له
يستبيحون دما ومالنا وكل شيء له علاقة بنا دون حد
أكثر من مرة حاول هذا أو ذاك أن يسرق عرقى حيث

يرفض أن يعطيني أجره عملي في آخر النهار أو آخر الأسبوع وبفعل الضغط والتهديد والخوف يضطرون للدفع أخيرا مرات كل يوم لمست محاولاتهم لامتصاص دمي ودم إخواني حتى آخر رمق في العمل والانتاج وبصورة لا محدودة وليس الأمر توقف عند هذا الحد ذات يوم كنت عائدا من ورشة العمل إلى مكان المبيت في الكرمل كانت الساعة قد تجاوزت السابعة مساء والجو ماطر والظلام شديد يكسو المنطقة توقفت إلى جوارى سيارة وسألني عدة أسئلة كم الساعة من أين أنت أسئلة فارغة فهمت هدفه منها حين إنطلقت السيارة فجأة محاولة صدمي لولا لطف الله عز وجل بي ثم إنتباهي للأمر قبل وقوع الخطر وحين أفلتت الفرصة منه رأيت يدور بالسيارة من بعيد محاولا الالتفاف مرة أخرى لتحقيق هدفه وكان علي أن أكون حذرا بصورة أكبر فيما بعد وتساءلت ماذا حدث ؟ ولماذا مثل هذا التصرف ؟ إلا تكفي عملية القتل البطيئة التي أعيشها ونعيشها جميعا مرة أخرى كانت في الصباح بينما كنت خارجا متجها للعمل إستوقفني شابان بلباس الزى المدني إدعيا أنهما من الشرطة ، طلبا مني بطاقة إثبات الشخصية رفضت التفاهم معهما حتى يشتا أنهما شرطيان إنتزعا مني البطاقة بالقوة وحاولا إستدراجي إلى مكان خال خلف بناية كبيرة لمحت تحت ثياب أحدهما سكيناً أدركت الحقيقة وكان علي أن أصارع الصعاب وبدأت في مدافعتهما حيث دخل لمؤازرتي بعض العمال العرب حين توقفت سيارة نقلهم لأماكن عملهم عندما هربا حاولت اللحاق بهما لأن بطاقة هويتي

كانت معهما وانتبهت أنهما القيهاا أثناء فرارهما بعد أن سرقا ما فيها من نقود هي كل ما أملك في تلك اللحظة ، عجيبة حياة هذه الشريحة من شعبنا عشتها خلال سنتين مثلي مثل باقي إخواني وأبناء شعبي ننتزع لقمة العيش من بين فكي مصاصي الدماء ونخلصها من بين مغالبهم وهم يصارعون عليها حتى الموت أو حتى أقل درجة حيث النزاع قبل الأخير لأخذ أجره عملي في نهاية الأسبوع أو الشهر ، وأحيانا عائدا إلى غزة حيث السنافور لم يتغير ولم يتبدل ثابتا في مكانه شامخا تطاول السحاب لأمد يدي التي كبرت بالنقود التي زادت كميتها وأصبحت عشرات أضعاف النقود التي جلبتها أول مرة من المطبعة صحيح أن البسمة إرتسمت على وجه الوالدة ولكني لم أر مثل تلك البسمة الأولى ، في تلك الفترة كان شريط آخر من حياتي يمر سريعا والأمور كانت تتطور بي بصورة سريعة ومذهلة كانت نيران الانتفاضة قد إمتدت لتشمل كل مكان ولا أمد ظل دون أن يكون له دور في فعالياتها وكنيت أولا من أولئك الكثيرين بدأ شعوري يزداد ويتنامى أن علي أن أعمل شيئا أن أخذ موقعي بين المنتفضين شاركت كما غيري في الأحداث ولكن كنت أدرك جيدا أن مشاركتي هذه خالية من الروح بدأ واضحا أن المشاركة في فعاليات الانتفاضة يلزمها إنتظام في إحدى التنظيمات العاملة قبل هذه الفترة من حياتنا لم أكن أدرك حقيقة وجود تنظيمات أو جماعات كنت أحس أن الناس جميعا شيء واحد ولكن تطورات الانتفاضة المباركة فتحت عيني وعيون الجميع على حقيقة

التميز في الساحة الفلسطينية على حقيقة وجود تنظيمات عدة وأفكار مختلفة غمرني شعور عجيب بوجوب العمل من خلال أحد هذه التنظيمات فأنا واحد من شباب هذا الشعب وهناك شعور يجب الانتماء وكنت أشعر فراغا كبيرا فيه وكان لا بد أن يملأ ، بحثت طويلا عن وسيلة تنقلني هذه النقلة ولم أكن أفهم الفارق بين الأسماء الموجودة على الساحة بدأت تجربتي الأولى وقد كانت بسيطة للغاية مع أحد التنظيمات الوطنية لا أرى مبررا لذكر اسم فالتحقت بصفوفه وبدأت أمارس دوري من خلال برامج وفعالياته خرجت عدة مرات لأكتب الشعارات ليلا على الجدران مع آخرين من أقراني لهذا التنظيم دعوات للاضرابات دعوات لاستقالة العاملين في الدوائر الحكومية وشاركت في بعض الفعاليات الأخرى بصورة بسيطة ولكن على الرغم من وجودي بين مجموعة من الأقران الذين قد تتوفر لي معهم أجواء الصلابة والانسجام والتوافق إلا أنني شعرت شعورا عميقا عجيبا أن هذا الانتماء لم يملأ علي نفسي في شعوري يجب الانتماء ولم أجد ذاك الانسجام والتوافق الذي بحث عنه طويلا للحق أنني كنت أحس شعورا عجيبا بالتناقض بيني وبين ذاتي كانت يدي تندفع محاولة أن توقع إسما آخر بدلا من اسم ذلك الاتجاه الذي خرجت أعمل تحت رايته (اسم حماس) شعورا عجيبا يدفعني للتوقيع بذلك الاسم لم أكن في يوم من الأيام قد انتظمت في حماس ولم أكن أعرف عنها إلا الشيء البسيط الذي يعرفه غيري من الشارع الفلسطيني في مثل عمري يدي تتحرك رغما عني لتوقع

حماس وأدفعها بقوة وعنف لتوقع ذلك الاسم الذي عملت تحت رايته شعورا عميقا بالتناقض والاختلاف بيني وبين نفسي وبعد العودة للبيت أذكر طويلا لماذا هذا الاحساس ؟ كيف أتخلص منه ألت أدري وقد كنت غافلا عن حقيقة أن القدر يخفي لي شيئا كبيرا مع الأيام القادمة أدركت فيما بعد أن كل ما حولي كان يدفعني دفعا عجيبا للقدر الذي إختاره لي ربي ماضي الذكريات أيام المرح والفرح في قصص الجدة أيام بثر السبع ساق الجد التي رحل تاركا إياها مع كل ما جمع وبني وعمر سمع الجدة ذكريات الخال طاهر والخال بدر الأذان خمس مرات من عشرات المساجد يوميا من كل حذب وصوب من حولي صحيح أنني لم أكن طيلة ذلك الوقت ملتزما بالصلاة وإن كنت قد داومت عليها فترات طويلة من حياتي ولكني كنت قد إنقطعت عنها أيضا فترات أخرى كل ما في البيت كان يدفعني بقوة الوالدة والأخوات وأنا أراهن في كل يوم مرات يلبسن الشياب الكاملة ويضعن على رؤوسهن الشاشات البيضاء ويتجهن للقبلة لأداء الصلاة كنت أنظر إلى هذا المظهر نظرة تقديس عجيبة وأذكر مريم العذراء أو فاطمة الزهراء ، أذكر يوما أن شخصية رمزية لذلك الاتجاه الذي عملت لصالحه سيتقل التلفاز له كلمة عبر شاشته دخلت الغرفة وأغلقت على نفسي الباب وفتحت التلفاز وبدأت أسمع للكلمات فجأة فتحت أختي باب الغرفة شعرت أنها أصيبت بالذهول لما رأت صرخت في وجهي ماذا تفعل وأغلقت التلفاز وعفنتني بشدة وحدثني بكلام كبير فهمت مجمله أنها غير مقتنعة بهؤلاء لاحظتني والدني

وأخواني وأخي أدهم أنني على علاقة بتلك الفئة وشعرت
وبشكل واضح تدمرهم من تلك العلاقة بل وصرحت لي
الوالدة مرارا بأنها غير راضية عن ذلك وأنها لا تريدني مع
هؤلاء الشباب أو إتيانهم كان أخي أدهم على علاقات لم
أدركها بالتحديد مع العديد من الشباب في الحارة لكنهم
جميعا كانوا يترددون ويلتزمون بالمسجد والصلاة وبعض
الأمور التي لم أكن أدرك حقيقتها وبعدها وكانت أحداث
الوالدة والأخوات صريحة في الإقرار بالرضا عن أدهم
وعلاقاته وصدقاته والدائرة التي يتحرك خلالها بدأت
عيناى تنفتح بصورة أوسع على حماس خاصة بعد
الاعتقالات التي حدثت في صفوف الحركة عام ١٩٨٩م
والتي اعتقل فيها الشيخ أحمد ياسين قرأت على الجدران
شعارات كتبها أفراد الحركة ممن لم تطولهم الاعتقالات كما
قرأ غيبري من أهل بلدنا الطيب وأدركت حقائق كثيرة
ونفتحت عيناى على قضايا كانت خافية علي فترة طويلة
أنا لم أر الشيخ أحمد ياسين مباشرة ولكني سمعت عنه
كثيرا ورأيت مرات على شاشة التلفاز كنت أكن له حبا
كبيرا واحتراما عظيما دون معرفة السبب الحقيقي وراء
تلك المشاعر وكنت أحس بشيء من القداسة في تصويري
وخيالي حين يذكر اسم أو أرى صورة أو أقراء على الجدران
كل شيء حولي كل شيء حتى نداء منبذة المسجد كل
المساجد يناديني يهتف بي هذا هو طريقك هذا هو طريقك
وبدأت أشعر أنني وضعت قدمي على أول الطريق التي
سنصل بي للالتقاء مع ذاتي وللانسجام مع روحي وكياني

روحي كانت تستصرخني تناديني في يقظتي في منامي في
رؤياي أن أجتمع بي والحق معي أجمع مع ذلك والتقي مع
روحي وأنسجم مع كياني قدمائي تسحباني طوعا وكرها
لطريق أعرفها جيدا في أعماق روحي وكل ما حولي من أباد
وكلمات وتحريضات تدفعني دفعا لأجد نفسي واقفا بين
صفوف المصلين في مسجد السدرة مرة ومرتين وثلاث
وهكذا وجدت نفسي بارادتي وبغير إرادتي ألبس حذائي
وأخذ قطعة القماش تحت ثيابي وأخرج للمسجد يوم أشعر
أن الشباب يهتمون لعمل ما وهناك في المسجد في صف
الصلاة وبين جميع الشباب بدأت أعثر على ذاتي والتقي مع
روحي وأنسجم مع كياني اكتشفت أن هذا هو مكاني
المناسب لي ولغيبري من أمثالي من أبناء هذا الشعب
المعطاء وضعت قدمي على بداية الطريق وكان لزاما علي أن
أواصل الطريق حتى أخره ترددت على المسجد كثيرا
أصبحت علامة ملازمة له وانتظرت طويلا شعرت أنني
انتظرت عشرة قرون انتظرت أن يأتي أحدهم يضمني
لأصبح جنديا بحق وحقيقة في هذه الكتيبة انتظرت
وانتظرت وانتظرت وسمت الانتظار وانفجرت بي روحي
فتقدمت بنفسي أعرض نفسي جنديا لحماس نعم طلبت
ذلك بلساني شعرت بالكلمات تتدافع تتطابر لا من اللسان
بل من أعماق القلب من الروح وانفجرت على مشاعري ولم
أعد أطيق صبرا فقد اكتشفت روحي والتقيت معها فهل
يصح لي أن أعاود الافتراق عنها أصابني الدهول والمجب
وأنا أرى أبو صائب وقد عرضت نفسي عليه وقد كنت أظنه

سيتلقى خبر استعدادي أن أكون جنديا في حماس بتلف
وشغف فإذا به يقابلني ببرود أعصاب عجيب ويجيبني
إجابة قاتمة لم أفهم منها شيئا محددًا هل وافق؟ هل رفض
؟ هل نفى علاقته بـحماس؟ هل وعدني؟ هل قطع الأمل
لدي؟ وهل استطعت أنا أن أعثر على صفاتي المنشودة
وأمسك بطرف الخيط الذي سيوصلني إلى هدفي الذي أريد؟
عشت أياما طويلة أخرى شعرت أنها عشرات القرون دون أن
أجد الإجابة على تلك الأسئلة العديدة التي كانت تدور
بخطري وانتظرت فكرت جيدا ماذا أعمل وكيف السبيل
لاتمام هذا اللقاء والذي بدأت أشعر مع روحي وكياني الآن
فقط عشت على ذاتي كاملة وتماقت روحي العناق القدسي
الخالد اليوم فقط عرفت سر تلك الدموع التي كانت تنهمر
من عيني وأحاول حبسها فلا أستطيع عرفت الجواب
الصريح على ذلك السؤال الذي حيرني وأرق جفني عرفت
السبب الذي فجر عواطفني وأثار كوامن الحب في نفسي
لفلسطين الطهر والبركة كل شيء في فلسطين عرفت يوم
التقيت مع روحي وعشت على كياني لقد التقيت مع روحي
والتقينا سوية مع النداء العلوي الخالد هتاف التكبير
والتقينا جميعا مع فلسطين الأنبياء التقيينا في أروع لقاء
بشهادة الكون الذي عرفت فأنفجرت مشاعري وقاضت
أحاسيسي وتدفق الدمع لا من عيني فحسب بل ومن قلبي
فهمت ذلك ولمسته بقلبي وروحي بل وببيدي يوم أدركته
أنني أصبحت جنديا في حماس يوم تقدم إلي أبو سليم
عارضاً علي الانطواء تحت راية هذه الكتيبة المؤمنة لم

أعرف بما أجب وهل يلزم الإجابة؟ لقد طرت بعيدا جسدي
أمامه وعيناي شاخصتان فيه ولكن عقلي وروحي تحلقان
في أعناق السماء مع الملائكة مع النبيين مع الصديقين مع
الشهداء روحي تلتقي هناك بروح الشيخ الذي لم أره في
حياتي مباشرة مع روح الشيخ أحمد ياسين في زنزاتته
معزولا عن الدنيا لتقسم له اليمين أنني سأكمل المشوار مهما
كان الثمن ومهما عظمت التضحيات إذا فقد أصبحت جنديا
في حماس لم أكن أدرك معنى ذلك جيدا ولا يهمني أن أدرك
ذلك كل همي أنني وجدت ذاتي والتقيت مع روحي وعرفت
سر الدموع التي فجرها نداء الحماس بسم الله أكبر بسم
الله قد حانت خيبر .. خيبر خيبر يا يهود جيش محمد
سوف يعود ، أدركت أنني التقيت بروحي في جيش محمد
الذي عادت طلائعه بي وباخواني أبناء الحماس أصبحت
جنديا في حماس يا الله تحقق حلمي الذي طالما أرق جفني
وأفرض مضجعي وفي عيني تجمدت الدموع لم تعد قابله
للاستكباب وتساءلت عن السبب بيني وبين نفسي فجاءني
الجواب من عروقي من كل قطرة في دمي أن المطلوب اليوم
شيء آخر غير الدموع أؤمن من الدموع شيء آخر تطلبه
الأرض الطاهرة بعشقة الثرى الطيب شيء آخر ، منذ ساعات
الصباح الباكر خرجنا لنعد العدة ليوم طويل من الصدام
والمواجهة أعدنا إطارات الكاوشوك ، كتل الحجارة
والبراميل الفارغة وكميات كبيرة من الحجارة ومع بداية
بزوغ الشمس ألقينا ذلك كله في الطريق وارتفعت السنة
الذهب الحمراء وسحب الدخان الأسود القائمة ترسم على

صفحة السماء لوحة الانتفاضة المباركة ، كان ذلك في شارع صلاح الدين الواصل بين نخلات المنتزه ومنارة السنافور في منتصف المسافة تقريبا وفجأة أطلقت سيارات جيش الاحتلال وترجل الجنود وشهروا بنادقهم وصوبوها نحونا وبدأ إطلاق النار تترسنا خلف الجدران والبراميل وأعمدة الكهرباء وانهالت حجارتنا عليهم من سجيل لقد أصيبوا بالسعار آلاف الطلقات قذفت بنادقهم وعشرات قنابل الغاز وهتاف التكبير يصدح في عنان السماء من حناجرنا الصغيرة خاصرتني نعم لقد امتزجت بالأرض يا الله هذا دمي ينهم ليروي ثرى البركة إذا فهذا الذي تطلبينه بدل الدمع لقد أصابتنى إحدى رصاصاتهم البلاستيكية واستقرت في خاصرتي شمعت بروعة وجمال الالتحام والعناق بين ثلاثتنا أشرف ، حماس ، فلسطين ومن حولي كانت تتردد أحلى أنشودة سمعتها على نغم الرصاص ذاك هو لحن الحماس بسم الله الله أكبر بسم الله قد حانت خيبر شمعت أن الجرح لا يؤلمني بل يشكل لي متعة وروعة وبهاء ، أحسست أنني حريص على أن ينزف المزيد المزيد من دمي ليروي الثرى العطش الطيب إختفيت قليلا في بيت مجاور ثم نقلت لبيتنا حيث ضمدت الجرح بصورة مؤقتة وعند العصر ذهبت للمستشفى الأهلي حيث أخرجوا الرصاصة من خاصرتي وتلقيت الدواء اللازم إعتدنا أن نلبس زي حماس ونضع على رؤوسنا القناع ونخرج عند المساء أو قبل الفجر لنكتب الشعارات على الجدران أو لنعد لمواجهات اليوم ها أنذا في ركب كتيبة الحماس لبس زيها وأضع على رأسي

قناعها وأرفع شعارها وأركب الخطر في سبيل رفع رايها راية القرآن ولكني ولا اعتبارات تحكم منطقة سكنائي حرمت أن ألبس الزي الموحد وأن أخرج في مسيرات الحركة الاستعراضية كما يحدث في المناطق المكتظة بالسكان مثل المخيمات لقد كانت أمنية لي أن أصطف في واحدة من تلك الكتائب التي تلبس الزي الموحد وتطوف الشوارع في تلك المناطق في هيئة الجيش النظامي كانت تعتريني رعشة وتغمرنى الحسرة حين أسمع الأحاديث عن تلك الظاهرة وأحد إخواني الذين يتمكنون من فعل ذلك فطبيعة منطقتنا كانت تفرض علينا أن نعمل في الليل عادة فمنطقتنا قريبة من الطريق الرئيسي والشوارع كلها واسعة لا يسهل الاختفاء فيها والتمترس في ثناياها إن حدث طاريء لكن زينا وأقمعتنا على بساطتها كانت تعوضني شيئا مما أحب وأتمنى مشاعر عجيبة تغمرنى وأنا ألبس الزي وأضع على رأسي القناع وأعمل بين إخواني أكتب الشعارات وأحضر المتاريس أو ... أشعر بارتباطي في هذه الأرض التي روتها دماء الأجداد دماء الأنبياء وأتباع الأنبياء دماء الشهداء والصالحين دماء أصحاب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وأشعر بعمق الانتماء بقوة الارتباط وأجد الاجابات الشافية لكل ما يجول بخاطري وما كان يدور بخلدني من أسئلة واستفسارات في أحد الأيام تنادينا على عجل فقد جاءنا خبر أطار من رؤوسنا العقول لبسنا زينا وأمتعتنا ونزلنا للشوارع في كل المناطق وخلال لحظات كانت قد إشعلت الأرض نارا في كل مكان كانت واحدة

من المرات النادرة التي نلبس فيها الزي والقناع في النهار ولكن الأمر كان خطيرا ومذهلا ومحيرا بل وميكيا فقد وصلنا خبر مفاده أن الشيخ أحمد ياسين قد استشهد في زنزاته خفقت القلوب وانهمر الدمع من تحت الأفنة سحاً إذا فقد رحل الشيخ إلى ربه بعد أن أودع في أرواحنا الحماس وأشعل في أعماقنا العشق عشق الالتحام بالأرض الطاهرة والشرى الطيب كان يوما عجيبا غنيفا لم أشهد له مثيلا من قبل ، وعند المساء تنفست الصعداء كما غيري من جند الحماس حين علمنا أن الخبر لم يكن صحيحا وفهمنا خطورة فعلنا من حرص أجهزة إعلام الاحتلال على التأكيد أن الشيخ حيا وبصحة جيدة قلت أنني كنت أكن للشيخ حبا عظيما وتقديرا كبيرا حتى قبل أن أصبح جنديا في حماس وقلت أنني كنت أشعر بمعنى أشبه بمصطلح القديسين حين أسمع الاسم وقد زادت تلك المشاعر معي يوما بيوم كنت أجد المتعة العظيمة وأنا أرسم حروف اسم الشيخ الذي ربي في حب الشرى الطاهر والطموح للمجد وأجد نفسي مضطرا أن أكتب زيادة على ما طلب مني على الجدران بعلبة الطلاء بعض الكلمات التي أجد لها لازمة وضرورة عنيقة ، شرسة وغير ذلك حين أخرج مع إخواني ندعو للمواجهات يوم موعد محكمة الشيخ يد الله هي التي كانت ترسم لي صورة الغد الآتي في أحد الأيام ضبط أحد أفراد مجموعتي وهو يكتب الشعارات على الجدران حيث ألقت قوات العدو القبض عليه ومن خلال التحقيق تكشف بعض الأمور عن مجموعتنا فاعتقل أفراد المجموعة وبقيت وحيدا من بينهم لم أعتقل

لم أعرف السر آنذاك ولكنني عرفته فيما بعد حين اكتشفت أن يد الله ترسم لي شيئا آخر وأن الله عز وجل قد إصطفاني ليضع سبحانه وتعالى على صدري وسام شرف الجهاد وعلى جيني نيشان الذبح .

الفصل الثالث : الدم يطلب الدم

كنت منهمكا في أداء عملي الروتيني في مخزن الألمنيوم يافا حيث أعمل منذ فترة في ذلك الصباح أشرق من بدايه إسبوع العمل الجديد من صباح الأحد ١٩٩٠/٥/٢٠ حين علمت بخبر المجزرة البشعة ، الأخبار لم تكن واضحة وكاملة ولكنني فهمت أن يهوديا قد فتح نيران بندقيته الأتوماتيكية على مجموعة من العمال العرب في موقف العمال في منطقة عيون قارة التي أطلقوا على تسميتها بالاسم العبري (ريشون لينسيون) أي الصهيوني الأول إذا أن اليهود فئة منهم لا تشبعهم ممارسة القتل البطيئة التي تمارس ضدنا كشعب بل تريد أن يكون الموت سريعا وخلال لحظات بسيطة يسقط المديدون من إخواني شهداء برصاص الحقد المسعور ليس إلا لأنهم جاءوا يصارعون على لقمة عيش أطفالهم ينتزعونها من بين فكي الوحش يخلصونها بأيديهم وأسنانهم من بين الغريبان واليوم من بين أظافر وأنياب مصاصي الدماء إذا ماذا كانت جريمتهم ؟ وماذا كان ذنبهم الذي إقترفوا كنت واثقا أنهم جميعا لم يقترفوا ذنبا يستحقون جزاءه القتل فأنا واحد من أولئك العمال المنتشرين في مرافق مصانع وشركات وورشات المحتل نبني دولته ونشيد حضارته سعيًا وراء لقمة العيش

انا لا اذكر انني شاركت يوما في سفك دم إنسان أو حتى جرحه سواء كان عربيا وحتى يهوديا ورغم أنهم فعلوا الذي فعلوا منذ عرفتهم أرضنا الطيبة هذا كانت جريمتهم أجل إنهم من شعب نار يرفض الاحتلال وانتفض يطالب بحقوقه في العيش على أرضه بعزة وكرامة وإن ينال حقوقه السياسية التي تتمتع بها كل شعوب الأرض لكنها شهوة سفك الدماء تلك صفة أصلية في نفوسهم كراهية الناس كراهية الحياة كراهية الحق هؤلاء قوم لا يستحقون الحياة نعم لا يستحقون الحياة هؤلاء أعداء الحياة وأعداء الإنسانية وأعداء أنفسهم حتى دارت الأفكار بخاطري وأنا أتلقى خبر المجزرة وتصاعد الدم الساخن إلى دماغي شعرت برأسي يكاد ينفجر الدم يغلي في عروقي قدماي لم تعد قادرتين على حملي ودار بذاكرتي شريط طويل طويل من الذكريات بدءا بالرحيل الذي اضطر له جدي تاركا إحدى ساقيه في بئر السبع الدار التي نسفت سمع الجدة الذي طار عشرات آلاف قنابل الغاز التي تنهال يوميا على أهلي ، ملايين الطلقات من كل الأنواع تستقر في أحشاء إخواني وقومي على إمتداد كل أزقة الوطن المنتفض يطالب بحقه في الحياة الحرة الكريمة الصفعة السوداء التي صفعتني إياها ذلك الشرطي في شبيرا محاولات دهسي بالسيارة قصص القرصنة التي يمارسها جميعهم في كل يوم وبرامج الارهاب والقتل المنظم والمخطط التي تمارسه دولتهم عندنا يوما بيوم خلال ثوان دار ذلك الشريط الطويل بذكريات السريرة في ذاكرتي وأنا أتكيء على أحد الكراسي إلى جوارتي ، هم

من حولي يضحكون ويشربون القهوة والشاي ويقهقهون في غاية السعادة والسرور كثيرة تلك الذكريات المريرة التي انطبعت في ذاكرتي ولن تنمحي أبدا والتي سرعان ما تقفز لقطات منها أمام مخيلتي أمام أي حدث يفجر ينبوع الذكريات واحدة من تلك اللقطات التي تقفز أمام خاطري كل يوم مرات ومرات تقفز وأراها ماثلة أمامي حين أرى سياراتهم المدججة بالجنود أو مصفحاتهم تبدو خوذات جنودهم وفوهات بنادقهم منها تقفز أمامي حين أسمع أصوات هدير ماتورات سياراتهم تجوب شوارع الحارة ليل نهار تمزق الصمت إلى رعب بالفجر الوليد تقفز أمامي حين أرى حتى لون ملابس جيشهم أراها أمام خاطري حين أراهم على إمتداد أرضنا التي سموها إسرائيل يتمتعون ويلهون ويضحكون ويعيشون ويعمرون ويبنون تلك اللقطة كنت قد رأيتها على شاشة التلفاز عقب مجزرة الأقصى حيث منع الجنود أهلنا من دخول المسجد لأداء الصلاة دافعهم الناس فدفعهم الجنود ، دفع الجنود أحد كبار السن فتدحرج الشيخ على الأرض وهو يهتف مسجدا تلك اللقطة الشيخ يتدحرج على أرض باب المسجد الأقصى وهو ينبج بكلمة مسجدا فرق النظر يوم رأيت شغاف قلبي وحزت الكلمة عبر أذناي كالرصاص واستقرت في أعماق قلبي نارا رمادا دمعا تجمد كادت الدموع تنهمر من عيناي حاولت حبسها فوجدتها قد تجمدت قبل أن أحسها تجلدت تحولت إلى نار فجرت في مجزرة الأقصى نارا بركانا أفضى أن أبدا التفكير في الدنيا منطق ومنهج جديد في عروقي تحول

كان شيئاً وأصبح شيئاً آخر لقطات كثيرة تقفز أمام خاطري كل يوم عشرات المرات حتى حين أسمع مجرد لغتهم حين أسمع العبرية حين أسمع أي لفظة واحدة منها تقفز إلى خاطري صور جثث وأشلاء شهداء وجرحى عيون قارة تقفز أمام مخيلتي صور الشهداء على أرض الأقصى الطاهر الشريف تقفز أمام مخيلتي صورة الشيخ بتدريج على الأرض وتمزق كلمته مسجداً قلبي تقطعه شعلة ناراً صور الجنود يدفعون أمهاتنا ويلطموهن صورهم يكسرون عظامنا صورهم يدفعون إخواني أحياء صور كثيرة لا حصر لها لا حصر ، كانت الحوادث أمامي كثيرة تشكل تصوري للحياة أو تشارك في تشكيلة هذه الحوادث كانت أحد العاملين اللذين شكلا فهمي الجديد ونفسيتي الجديدة ومنطق فهمي للحياة عامل آخر تلازمه على هذا العامل في ذلك التكوين فهم جديد شربته وارتويت منه إصطبغت به روحي وكياني إختلط به دمي أصبح جزءاً هاماً مني بل أصبح هو كياني ذلك هو فهمي لبعده ودلالة جندبتي في حماس قبل الانتفاضة حتى قبل إنتفاضي في حماس لم أكن أدرك البعد الحقيقي للصراع في المنطقة لم أكن أفهم المعنى الصحيح للعداء الذي يكنه لنا الأعداء ولا للحرب التي يديرونها ضدنا بكل ضراوة ودون أي شعور من شفقة أو رحمة لم أكن أدرك المعاني الحقيقية للأشياء فكنت أتساءل مثلاً لماذا هذا الاجرام في مواجهة الانتفاضة بهذا العنف وبهذا السفك للدم ؟ لماذا هذه الاعتقالات ؟ لماذا هذه السياسات التي لا تتفق مع أدنى إحساس باحترام كرامة

الإنسان لماذا لا يريدون أو لا يصلون باعطائنا الحد الأدنى من حقوقنا ؟ لماذا يصرون على البقاء في غزة مثلاً ويستمتتون في سبيل ذلك ؟ أدركت الآن الاجابة الحقيقية لا على تلك الأسئلة فهذه الأسئلة وملايين مثيلاتها لم تعد تعنيني من قريب أو من بعيد وإني على سؤال واحد هو ماذا نريد نحن من وراء كل هذا ؟ أدركت الاجابة الحقيقية يوم إنتسبت إلى حماس ولبست زيبها ووضعت قناعها على رأسي ونقشت اسمها على جدران قلبي لا بالطلاء ولكن بالنور كنت أظن أننا نريد من ذلك أن نضبط عليهم لينسحبوا من غزة والضفة لنعيش بهدوء وراحة من إرهاب جيشهم ومخابراتهم كنت أتصور أننا نريد العيش بأمن وسلام وهدوء وأدركت اليوم أن شيئاً آخر هو الذي نريد شيئاً آخر فرضه علينا فهمنا لدستور الحماس القرآن وقتها أدركت السر في بشاعتهم في إجرامهم في مجازرهم إنها معركة حضارة معركة عقيدة معركة مصر أدركت أننا نحارب قوما ليسوا كغيرهم من الناس قوما أعماهم شعورهم بالتفوق على الناس كل الناس أيا كانوا ، قوما نظروا فراوا أنفسهم نموذجاً آخر من الخلق رأوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ولن يعذبهم الله أبداً رأوا أنهم شعب الله المختار رأوا أنهم ليس عليهم في الأميين سبيل فلا ذنب عليهم إن قتلوا الأميين (غير اليهود) ولا جريمة يرتكبون إن سرقوا الأميين ولا إعتبار عندهم بمص دم الخلق كل الخلق أدركت طبيعة هؤلاء القوم الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مفلولة فليت الأمر توقف بهم للتطاول على

خلق الله أو على أنبياء الله لقد وصل الأمر بهم وهم يشعرون بتلك النظرة العنصرية أن يتطاولوا على رب العالمين وكيف بعد ذلك يمكن أن ينظروا لنا ونحن القلة المنفلوبة على أمرها !! فهمت جيدا سر تلك النظرات التي كانوا ينظرونها إلي وإلى عشرات الآلاف من إخواني العمال ليست نظرة السيد للمبيد فحسب وليست نظرة الادمي للدواب فحسب أدركت سر تلك النظرات سر تلك المحاولات التي تعرضت لها وتعرض لها الآلاف في كل يوم من محاولات مص دمهم وسرقة عرقهم وتجريدتهم من جلودهم في مسلخ العمل على إمتداد فلسطين المحتلة كنت قد سمعت عن الاحتلال الاستعمارية لدول العالم العربي وقرأت شيئا عنها في كتب التاريخ المدرسية ولكني لم أحس أن أمة أخرى في العالم تحس إحساسهم وتعيش بشعورهم نازيو ألمانيا فاشيو إيطاليا أكلوا لحوم البشر لبسوا كذلك هؤلاء قوم آخرون شيء آخر تماما الشيوعيون ينكرون وجود الله لكنهم لم يصلوا إلى درجة هؤلاء في التطاول على الله باتهامه بالبخل أو بأنه فقير أي قوم هؤلاء الذين يرون أنهم يتفوقون حتى على الله وأي عنصرية هذه التي يعيشون أو تعيش في قلوبهم لم يعد لكل تلك الأسئلة مبرر فكلها معروفة الأجابة بل لا مبرر للتفكير بمنطق تلك الأسئلة أصلا أصبح رأسي ينضج من جديد في ظل مفاهيم الحماس التي شربتها وإخواني في هذه الكتبة المؤمنة على موائد القرآن في مسجد السدرة ، الأبيكي ، ابن سلطان ، ابن مروان ، ابن عثمان ، الدارقطني ، في كل

مساجدنا على إمتداد فلسطين الأنبياء أخذ رأسي ينضج وتزيد سرعة نضجه تلك اللقطات التي سرعان ما تقفز أمام ناظري أمام كل حدث والتي في كل يوم تضاف إليها عدد جديد من اللقطات الجديدة من صور البشاعة الدموية وكراهية الإنسان منهج آخر جديد تماما بدأ يتشكل في كياني عقل آخر بدأت أحس أنه يحتل فراغ رأسي قلب آخر يحتل قلبي نعم قلب آخر احتل قلبي هل أصبحت دمويا أو مجرما هل أصبت بمرض السادية ؟ هل أصابني سعار من الجنون ؟ تسالت كثيرا وأنا أشعر بذلك العقل الذي احتل عقلي والقلب الذي غزا علي قلبي هل أصبحت أحقد على الإنسان ؟ هل كرهت الإنسانية ؟ لا تحسست قلبي فوجدته عامرا بحب الخير للإنسان لكل الناس وجدته فياضا بالمشاعر النسيطة الطيبة الأصلية في حب الخير عشق الإنسان عشق الأرض وكل ما على الأرض حب السعادة للناس كل الناس تحسست قلبي مرارا وتكرارا خشية أن أكون قد أصبت بمرض نفسي يدفعني للتفكير بعنف وقوة فوجدته دوما عامرا ، القلب الطيب الرطب الندي لكل الناس للحياة للإنسان للأرض وأدركت أن من حب الحياة من حب الإنسان من حب الأرض أن تمقت الموت أن تمقت التوحش أن تمقت أعداء الحياة أعداء الإنسان أعداء الأرض أدركت المعنى الأخلاقي العظيم الذي من أجله شرع عز وجل الجهاد في سبيله وحرص المؤمنين على القتل والقتال والبحث عن الموت في سبيله المعنى السامي الرفيع الذي من أجله خرج أولئك المجاهدين منذ فجر التاريخ ومنذ بدء الرسالات

يحاربون الشيطان وأولياء الشيطان ويقتلونهم ويموتون بأيديهم ، أحيانا فيذهبون الى ربهم شهداء عظماء صديقين هذا الركب الطاهر من الأنبياء وأتباع الأنبياء الذين إختارهم الله عز وجل وأصطفاهم وحملهم رأته تقدموا بذلك المعنى الأخلاقي الرائع في قتال أعداء الحياة أعداء الانسان أعداء الحرية أعداء الجمال في كل الكون الجميل ، المعنى السامي الرفيع في حرب مصاصي الدماء قراصنة البشر قطاع الطرق سارقى الدم والعرق والله عز وجل عد قتلهم وقتالهم عبادة بل ورأس العبادات كلها أدركت أني بنمو مفهومي هذا أنما أفهم المعنى الحقيقي للحياة أدركت معنى ذلك الخفق العجيب في فؤادي حبا للحياة ، للانسان ، للكرامة ، للحرية وذلك ألحقه على أعداء الحياة والانسان والكرامة والحرية الذين لا يفكرون الا بمسطق التجار وممارسة البورصة وقطاع ورؤساء المصائب ومديري الارهاب أدركت أني لست إرهابيا حين ينمو عقلي ذلك النمو من التفكير لست إرهابيا يروع أو يسعى لترويع الأطفال والنساء ولكني يد الحق التي يجب أن ترهب المجرم أدركت أني الدافع عن الحق أحارب جزائرين يعشقون الذبح فقط أدركت أني رحيم رحيم إلى أبعد حد ليس بنفسى فقط ولا بشعبي وأهلي الذين يقتلون كل يوم فقط لكن بهذه الانسانية جمعاء حين أنهج مثل هذا النهج في التفكير إتجاه أعداء الانسانية بدأت أدرك جيدا أني وأمثالي رسل رحمة ودعاة إنسانية حين نفكر في تخليص الناس من أعداء الناس أعداء الحرية الانسانية الكرامة عشاق إستعباد الخلق أو إستعمار الخلق الذين

أعمالهم شعورهم بالتفوق والعنصرية حتى جراحهم على التطاول حتى على الله أدركت إذا أنا نخوض حربا مقدسة تستمد شرعيتها من رب العالمين الذي أعطانا الاذن في ذلك ، " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير " نعم فيها نحن نقاتل بل ونقتل كل يوم يقتل أطفالنا حتى في أرحام أمهاتهم تقتل نساؤنا بالليل والنهار يقتل رجالنا ليس الا لأنهم يطالبون بحقوقهم في العيش بكرامة الانسان حينما هذه معهم حرب طهر وقداشة أعطانا الاذن فيها مولانا العزيز الجبار كما أعطاه من قبل لخير خلقه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحهم ذبح الخراف يوم وجدهم يتربعون على عروشهم من جماجم الناس ولا يستطيعون العيش الا بعد أن يأخذوا جرعانهم اليومية من دم الناس البؤساء كما هم اليوم تماما ممركتنا هذه ليست معركة مع محتل أرض فقط بل أيضا مع مصاصي دماء وسارقى حليب الأطفال أكل لحوم البشر تربع على الجماجم ولكن كل ذلك في صور عنصرية يحاول أن يغلغلها بأغلفة مختلفة يغلغ أحيانا في خداع الناس وينفضح أحيانا أخرى بدأت هذه المفاهيم تنضج في رأسي وبدأ رأسي ينضج بها رويدا رويدا مع تجذر إنتمائي وفهمي للحماس ومع ما أرى كل يوم من صور المشاعة التي تصدق ذلك وتأتي له البرهان الدامغ والدليل القاطع وليس غريبا أنه فور أن يثبت المفهوم في دماغي أن أسعى للتنفيذ فقد تعلمت ذلك من طفولتي يوم عملت وتعودت كل يوم أن اذهب بعد عودتي من المدرسة للعمل في المطبعة وفي الطريق أقضم

سندويتش غذائي لم يكن غريبا أن تبدأ عيناى تدورا في كل مكان أنزل فيه أو أمر به بحثا عن الهدف المناسب والنقطة الأكثر تأديبا بحث في الطريق والسيارة تنقلني للعمل ومنه بحثت وقدماي تنقلاني هنا وهناك بحثت وبحثت وأخيرا وجدت الهدف الأنسب لي والأوجع لهم !! مدنيون لا ضير فليس عندهم مدنيون فكلهم كلهم جنود يحملون السلاح لقتلنا كلهم يقذفون قنابل الغاز لخنق أمهاتنا وأطفالنا في الأرحام كلهم يقتحمون المستشفيات ويقتلون المرضى والمصابين بالغازات السامة والخائفة مدنيون ؟ أي مصطلح تافه هذا الذي يريدون باشاعته أن يؤمنوا بهتهم الداخلية التي أشد ما يؤلمهم الضرب فيها ثم أي مدنيون هؤلاء الذين قتلوا إخواني في عيون قارة أي مدنيون هم المستوطنون الذين يشون الرعب والقتل في كل أزقة الخليل والقدس ونابلس وغزة مدنيون ؟ أي مدنيون هؤلاء الذين يمتصون دمي ودم إخواني ويتربعون على جمجمتي وجماجم أحبابي ويمشون في أرضنا الفساد والاجرام والرديلة ؟ أي مدنيون هؤلاء الذين يحرقون قلبي وقلب أختي وهم ينشرون بين أبناء قومي المساحيق السامة والمخدرات القاتلة التي يحاربها كل عاشق للإنسانية مدنيون هؤلاء الذين يشبعون في أهلي وقومي الرديلة والجريمة والعمالة والخيانة ؟ مدنيون هؤلاء الذين أباحوا حرماننا وانتهكوا أعراضنا بشتى الصور المستورة منها والمفضوحة ؟ مدنيون ؟ دعنا من هذه المصطلحات الفارغة وجدت هدفى مكان أعرفه جيدا أكثر مكان أعرفه

في أرضنا حشاشين فترة قاربت على سنتين لست فيها المنصرية في كل شيء رأيت في عيونهم الحقد على كل شيء إلا أنفسهم رأيت في عيونهم شراسة مص الدم دمي ودم أخي أدمهم ودم أبناء شعبي رأيت في أظافرهم بقايا لحم أكتافي وأكتاف العشرات من إخواني وأبناء شعبي رأيت وجوههم الشوها تطفح بالدم الذي ترعرع بعد أن مصوا وسرقوا عرقى وسحقوا عظامى وجدت الهدف وبدأت الفكرة تختمر في خيالى رويدا رويدا ومع كل يوم مع كل حادثة تزداد إرادتى إصرارا وفي كل لحظة يقفز شريط الذكريات أمام مخيلتي وتتوالى الصور واحدة بعد الأخرى فتزيدني إصرارا مع إصراري وتلهب صدري بنار النار لكل أولئك الأبرياء إختمرت الأفكار ووضعت الخطة وقررت التنفيذ ووجدت نفسي في حاجة للأنيس يؤازرنى ويشد أزري ولا عجب في ذلك فهذا نبي الله موسى عليه السلام يطلب ذلك من ربه " واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشد به أزري وأشركه في أمري " لم يطل بي البحث عن ذلك الشريك فقد وجدته منذ اللحظة الأولى الأخ مروان الزايغ ولا غرابة في إختياري له دون غيره محبة أعرف فقد كان أول من عرفت من أعضاء حركتي حماس بعد أن اعتقل أفراد خليتي الأولى فقد جاء واتصل بي حين ضمني للمجموعة الجديدة حيث كنت الوحيد الذي لم يعتقل من بين إخواني أعضاء الخلية الأولى فطالما خرجت معه تلسي زي الحركة وقناعها لنكتب الشعارات على الجدران ليلا أو نهارا أو لنقوم بدورنا في فعاليات الحركة هنا أو هناك

صارحت مروان بالأمر فأبدى إعجابه به وطلب إليّ التريث قليلا وغاب لست أدري إن كان قد إتصل بمسئوليّه فقد كان هو مسئول خليتنا الجديدة وعاد لنبدا التخطيط وبصورة عملية هذه المرة تكفل هو باحضار السكاكين وطمانيّتهما جاهزتين وبالصورة التي أحبّ تحاورنا حول إختيار التوقيت الأنسب لتنفيذ عمليتنا هذه كان فصل الشتاء على الأبواب وفي الأيام القريبة تمر ذكرى الانطلاقة الرائعة لحركتنا الرائدة حماس التي ربت فينا الرجولة والفروسيّة ربت في روحي فحق عليّ أن أبذل في سبيل رفع رايّتها تلك الروح كلّ الأصابع كانت تشير لنا على التوقيت الذي لا خلاف عليه أن نقدم عملنا هذا هدية لكلّ الأحبة في حماس ولكلّ الأحبة على إمتداد فلسطين النازقة في ذكرى إنطلاقة حماس يوم الميلاد الرائع المتعجب ذكرى الانطلاقة هذه تشير في النفس معان كبيرة وعظيمة ولا بد أن يقف المرء معها مقفات ووقفات هذه الانطلاقة المباركة تعتبر بحق نقطة تحول مصيرية في حياة الشعب الفلسطيني ومسيرة جهده وجهاده فلطالما عانى هذا الشعب وقدم وكافح وضحي وبذل الكثير دون كلل أو ملل تحت رايات شتى غير رايّته الحقيقية التي تمثل إمتداد تاريخه وتراثه وأمجاد بهمق وأصاله وهو من خلال الانطلاقة المباركة يتحول جذريا إلى ذلك العمق بدلالته وأبعاده وفي هذا إيذان واضح وصريح بقرب الأوان لأن تنزل كلّ تلك الرايات التي إرتفعت على غير هدى من الله ولا برهان مبين وهي إشارة البدء في الاعلان عن القدوم الباهر الكبير للمعركة الفاصلة للوعد

الأخر التي أخبر بها رب العالمين وبشر بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم معركة " فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا " ، " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائيّ تعال فاقتله " وذلك يعني بصراحة ودون مواربة أن بداية نهاية الكيان المسخ قد دخلت وأن العهد لهذا الكيان الفاسد قد بدأ بصورة عملية .

x حماسنا هذه حين إنطلقت كان ذلك إيذانا بانطلاقة قافلة الفرسان ، الورثة الحقيقيين لرسالات السماء وأتباع الأنبياء وورثة الدم الثاني الذي سطر على هام الزمان أسمى آيات الفخار إنطلاقة عشاق الشهادة وصناع الموت الذين يعرفهم عدوهم جيدا بذلك والذين قال فيهم موشيه ديان يوم دخلت كتائبهم فلسطين عام ١٩٤٨ هؤلاء قوم جاءوا ليموتوا أما نحن فقد جئنا لنعيش فهي إنطلاقة كواكب الفرسان الذين جاءوا للموت وللموت فقط هذه الانطلاقة جاءت تلبية لنداء الله تبارك وتعالى لنا بالنفير والجهاد والخروج تحت رايّته تلبية لاستصراخ المقدسات تشن تحت وطأة الظالم المستبد والحاقد إستجابة لنداء الأرض العطشى التي طالما إرتوت بالدم الطاهر الزكي على مدار التاريخ وأن لها الأوان لترتوي مرة أخرى بذات الدم دم حملة رايّة التوحيد أبناء الأنبياء ذكرى الانطلاقة تفجر النفس معان عظيمة ودلالات غاية في الأيحاء والأهمية فقد إنتهت مرحلة الغثائية والانتماء والعمل الغير هادف من حياة الشعب الفلسطيني العظيم

وبدأت مرحلة جديدة جدة كاملة هي مرحلة الحماس مرحلة الاسلام العظيم وحملته الأبرار إنطلاقة حماس حدث بهم الوطن الاسلامي الكبير مفخرة لكل أولئك الذين يدركون تلك الدلالات والمعاني لذلك الحدث المصيري الذي يرتبط به مصير المنطقة ويتحدد بناء شكل وطبيعة الصراع خلال السنوات القادمة وفي ذكرى الانطلاقة هذه حق على كل أولئك الذين يدركون تلك المعاني السامية التي أدركتها روحي وقلبي وعقلي ولا أستطيع التعبير عنها مهما أوتيت من البلاغة كل أولئك الذين يدركون تلك المعاني الرائعة وجب عليهم أن يقفوا وقفة الاجلال والاكبار في ذكرى الانطلاقة ولما كنا ندرك أن علينا أن نقف تلك الوقفة في الذكرى الرائعة لذا وجب علينا أن نقدم قرباننا في ذلك العيد البهيج لنشارك هذه المرة في إشاعة البهجة باراقة الدم أدركت وأخي مروان عمق تلك المعاني وعظمتها ودلالاتها فكان لزاما علينا أن نتقدم لحركتنا ولاخواننا الجند تحت رايتها ولأبناء شعبنا المعطاء الذي ثار الحماس في صدره فخرج لا يلوي على شيء ولأبناء أمتنا المسلمة لتفتح عينها على هذه الجبهة الصعبة الحرجة لكل أولئك رأينا أن نقدم هديتنا وأن نذبح أضحياتنا بعد أن نصلي فجر اليوم الأول من العام الرابع للانطلاقة المباركة رأينا أن نذبح قرابيننا صباحا مجرمي الاغتصاب وكيان المسخ مع ساعات النهار على قدم واحدة مطاطة الرأس حاسرة العين قاطبة الجبين ولترقص قلوب كل الأجيال على امتداد فلسطين النازفة كل أولئك المقهورين المسجونين المعذيين

المصابين الذين مصت دماثهم سرق عرقهم وسحقت عظامهم ولترقص قلوب كل أولئك جميعا طربا للخبر حين نظيره وسائل الاعلام ثم ليقف كل الناس كلهم وقفة الاجلال والاكبار للحركة التي ربت فينا الفروسية والاباء والكرامة ثم ليطير خبر ذلك كله إلى شيخنا المجاهد في زنتانته لتشق نفسه وهو الواثق أن جنده قادرين على فعل ما أراد باذن الله وتأييده وليحني الجميع رؤوسهم طائعين أو مكرهين ولنفتح من بعدنا الباب في سنة حسنة على مر العصور والأيام على غير العادة رجعت إلى غزة مساء يوم الخميس ١٢/١٣ لنترب الأمر ما يلزمه في اللحظات الأخيرة وجلسنا نتفق على اللسان الأخيرة كنت قد رتبت أمري في المخزن قبل عودتي أثناء النهار حيث كسرت لوحا من الاسيست حتى أتمكن من إشتدراج أحدهم في آخر المخزن يوم غد إن شاء الله تعالى إتفقنا على خطواتنا بالتفصيل وإفترقنا على يمن الله وبركاته على أمل اللقاء صباحا لتبدأ رحلتنا الأولى من نوعها والتي أملنا من عمق قلوبنا أن تكون طريقنا الفوري إلى جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر إستيقظت مع ساعات السحر ومع نسمات السحر الحالم بالمجد والنصر المؤزر والتأييد المبين كانت عقارب الساعة تشير للثالثة قبل الفجر فتحت عيني وتلفت حولي لأتأكد أنني قد صحت فعلا ولست في رؤية نفست الغطاء عني بعيدا وقفزت أتوضأ إستعدادا لليوم المبارك حدث عجيب تكرر معي طيلة عدة أيام مضت وحدث معي عند الصباح فتحت المصحف على غير قصد

منني أن أفتحه على شيء معين وفي كل مرة كما في هذا الصباح أجد أمامي سورة التوبة من بدايتها دون البسملة ، براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وأقرأ من آياتها وأقرأ فأجد كل ما فيها يحرضني يقويني يشد من عزيمتي يدفعني للمزيد المزيد من القوة والعنف " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " وتتردد الكلمات في جنبات قلبي وعقلي وروحي قاتلوهم قاتلوهم قاتلوهم يخزهم يخزهم يخزهم ينصركم ينصركم وينصركم ويشف صدور قوم مؤمنين فأشعر وكأن جبريل عليه السلام يتنزل بالآيات للتو وللمناسبة يا الله ما هذه الأقدار وما هذه النواميس والموافقات العجيبة قرأت آيات سورة براءة فوجدتها تنتزع من صدري كل معاني الشفقة على قوم لا يستحقون شيئا بسيطا منها وجدت ربي يهتف بي " ألا تقاتلون قوما نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة " ، " أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين " يهتف بي " إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم " فهمت أن ذلك ليس من قبيل المصادفة بل هو قدر الله يؤيدني يصدقني يشد على يدي شعرت أنني أخذت الموافقة والاقرار ليس من حركتي أو من قيادتي في الأرض فحسب ولكن من ربي في السماء قرأت كتاب ربي وشعرت بربي يحدثني عبر آيات كتابه العزيز ، أطبقت صفحات المصحف وقد أخذت ما أخذت وقمت واقفا بين يدي الله تعالى خاطبني ربي حين قرأت كتابه ووقعت

أخاطبه عبر صلاتي نويت أن أركع لله ركعتين ودعوت في سجودي شعرت معنى الاتصال الحقيقي بين قلبي الصغير الصغير وبين ربي قيوم السموات والأرض وهتفت ضارعا لا أذكر بأي عبارة طلبت ما طلبت ولكني هتفت ضارعا له أن يؤيدنا وأن يوفر لنا الصيد الوفير وأن يكرمنا بالشهادة في سبيله لنقضي يوما مع النبيين والصديقين والشهداء في رياض الجنات لحظات في غاية الروعة ذقت فيها حلاوة الاتصال بالله تعالى وأحسست بربي يسمعني يسمع ذاتي يراني ساجدا ضارعا بذلك الدعاء فتمت صلاتي وأدبرت عياني في جنبات الغرفة التي لن أراها مرة أخرى ودعتها أدبرت عياني في أنحاء البيت الذي درجت فيه خطواتي الأولى وأكلت فيه لقمتي الأولى ونطقت كلمتي الأولى ودعت فيه بعيناي كل شيء ، ابتظت الوالدة لتغلق الباب خلفي أو لأراها للمرة الأخيرة ولأودع المدرسة التي ربت في كل شيء وشعرت بالكلمات تتدافع من فمي لأطلب منها أن تدعولي لقد كنت في أمس الحاجة للدعاء خاصة من والدتي لكني دفعت الكلمات ودافعتها لتعود من حيث جاءت فقد خشيت أن يفضحني طلبي الدعاء فتحس الأم بقلب الأم ما وراء كلماتي كتبت مشاعري وسؤالي هكذا علمتني الحساس مدرستي وصانعتي واكتفيت بوداع العيون ودعتها بعيناي يا الله يا لقسوة الظرف لكن لا ضير فلنا لقاء إن شاء الله في جنات النعيم أيتها الأم الرؤوم وداعا وداعا وانطلقت لتغلق الباب خلفي إنتظرت مروان قريبا من المسافرين قرابة الساعة والمسافور شامخ الرأس يودعني وأودعه لقد تلقنت

منه الدروس لم ينحني ولم يتزحزح ولم يتراجع وهو هو
 ثابت راسخ شامخ وطلع علي مروان بهيا مشرقا متوقدا كان
 علينا أن نبدأ رحلتنا من المسجد الذي ربي فينا الحماس
 وأشمل فينا الرجولة وأذابنا حبا في أرضنا الطاهرة المباركة
 وعشقا للموت والشهادة وصلينا الفجر ناولني إحدى
 السكينتين تفحصت سلاحي ووجدته جيدا أخفيتها في
 متاعي وأخفي سكينه في متاعه وانطلقنا لموقف السيارات
 نقضم الساندويتشات ونودع ثري شارع صلاح الدين
 بذكرياته الرائعة التي عشنا كانت الساعة قد شارفت على
 السادسة عندما ركبنا سيارة المرسيدس التي انطلقت بنا
 برفقة مجموعة من أبناء شعبنا الكادحين في الأرض
 يسعون لتوفير الحليب لأطفالهم ولتسعى لتوفير المادة
 الأهم من الحليب لأولئك الأطفال ليتسنى لهم الحياة الحرة
 الكريمة ، بدأ إلى جوارى مروان يقرأ أدعية الصباح
 الماثورات وأنا أودع بعيني كل شجرة وكل جدار وكل حبة
 رمل في الطريق وأتممت ببعض الترانيم التي أحفظ منذ
 تفجرت الانتفاضة واستمرت نارها إهتم الأعداء باحتياطات
 الأمن في دخول أهلنا إلى أرضنا المحتلة منذ عام ١٩٤٨
 فزادت إجراءاتهم عند نقطة التفتيش المسماة إيرز حيث
 التدقيق على أشده للداخل والخارج ولكن عين الله ترعانا
 ورعايته تكلؤنا فاجتزنا الحاجز بسلام واجتزنا حاجزا آخر
 في الطريق بأمان أيضا وصلنا قريبا من المخزن حيث
 أوقفنا السيارة بعد أن دفعنا كل ما في جيوبنا من نقود
 كانت أجرة سفرنا ذاهبين حيث لا لزوم لأجرة العودة

فلسنا نطمع فيها أو نفكر فيها مجرد تفكير بل نتمنى من
 أعماق القلوب ألا يكون ذلك لازما البتة سرنا حوالي خمس
 دقائق حتى وصلنا للمخزن كانت الساعة قد إقتربت من
 الساعة السابعة وجلسنا على الرصيف حيث أوضحت لمروان
 ما كنا قد إتفقنا عليه بالأمس على أرض الواقع حتى تأكدنا
 من إدراكنا لحقيقة الأدوار والمواقع كان صباحا مشرقا
 يبشر بالنجاح والتوفيق أمامنا كانت السيارات تقف
 وتتحرك ونحن نتضحك ونبتسم ونتمنى أن يكون هذا من
 صيدنا وأن يكون ذاك عندما أشارت عقارب الساعة للثامنة
 إلا عشر دقائق وصل أحد العمال الذين يعملون في المصنع
 المجاور حيث فتح الباب ودخل يزاول عمله وينتظر قدره
 بعدها بلحظات وصل موشيه أوقف السيارة أمام المخزن
 ونزل منها يتمايل والأرض لا تكاد تحمله لم لا فهو واحد
 من أبناء الله وأحبائه المتفوقين حتى على حسب زعمهم
 ووقف إلى جوارنا يعقد يديه على صدره والكلمات تخرج
 نفسها جرا من بين أسنانه بعده بقليل وصلت إيرس التي
 تعمل سكرتيرة في المخزن فتحت الباب ودخلت يدخل
 خلفها موشي وأنا ومروان ودخلت هي للمكتب وقت ساعة
 الصفر نظرت إلى مروان ونظر إلي وتلاقت عيوننا وتفاهمت
 الميون بلفتها على قرع جرس البدء إلتفت إلى موشي
 وأخبرته عن الاسيست المكسور وطلبت منه أن يتبعني
 لبري ذلك وساقته قدماه خلفي في آخر المخزن ممر طويل
 بين أكوام قطع الألمنيوم والرفوف التي تحملها في آخر
 الممر الممر لا يتسع لأكثر من واحد دخلت الممر ودخل

خلفي وانتظر مروان عند مدخله من أشرف إلى مكان الكسر
نظر إليه ثم إسندار متمتما ببعض الكلمات وسار وسرت
خلفه ، مروان في وجهه عند باب الممر وأنا خلفه ومن فوق
كنفه لمعت عيوننا والتفت ودق الجرس مرة أخرى مشيراً
للبدء إنتزعت السكين من تحت ثيابي لتستقر بين كتفيه
مطبقاً يدي على فمه حتى لا يجمع علينا الدنيا بصراخه
وانهال عليه مروان من الأمام طعنا في صدره وبطنه وزعم
كفي المطبق على فمه سمعت صرخته ليرتمي في بركة دمه
في لحظة خاطفة دار شريط الذكريات المؤلمة ساق الجد
سمع الجدة آلاف الشهداء عشرات آلاف المصابين أطنان
قنابل الغاز عيون قارة وشرب القهوة والضحك والقهقهة ،
الشيخ يقع على الأرض صارخاً مسجداً عظام أمهاتنا
المكسرة بهروات المحتل المجرم والتفت نحو المكتب فاذا
إيرس تطل برأسها لتنظر بحثاً عن الصراخ رائني أمامها
والسكين في يدي تراجعت بذعر لتفلق الباب وتندفع نحو
التليفون دفعت الباب بقوة فوقعت على الأرض خلف الباب
حاولت أن تدافع برجلها لتستقر السكين في بطنها عظم
أمهاتنا المكسرة بهروات جنودكم أطفالنا في أرحام أمهاتهم
يموتون بفعل غازاتكم السامة ، وتالت الطعنات لتلفظ
أنفاسها الأخيرة يبدو أن العامل في المصنع المجاور قد
سمع صرخاتها فجاء لقدره دخل الباب سائلاً ماذا حدث ؟
فهم الجواب جيداً ثلاث طعنات متتالية في صدره من
سكيني حيث وصل مروان ليكمل معه المشوار بطعنات
أخرى أصابني سكين مروان بجرحين في كفة يدي ورسغي

سحبناه إلى داخل المخزن حيث قذف به مروان إلى قاع
الملجأ كان دمه قد لطح الأرض عند الباب وهذا مما يبيق
عملنا عند قدوم جدد لذا وعلى الفور بدأنا في غسل الأرض
بالماء لكنه ظل يلطخ الجدار رفعت سماعات التليفونات
وأدريت مقص الألمنيوم كي يغطي على الصوت بدأ واضحاً أن
جروح يدي ستفرض علينا تغيير خطة عملنا فدمائنا تنزف
بغزارة ولا أستطيع إيقافها لست أدري كيف حدث ذلك حين
قررنا مفادرة المكان كانت تلك تجربتنا الأولى في مثل
هذا النوع من العمل ولعل ذلك كان السبب في قرارنا ذاك
وبينما إستعد مروان لإغلاق الباب الخارجى كنت أنقش
على حائط داخلي في المخزن بعلبة الطلاء السوداء كلمات
كنا قد أعدناها قبل حضورنا ليلة أمس وسجلناها كي لا
تدعونا المجلة أو رهبة العمل لنسيانها أو الخطأ فيها — سم
الله الرحمن الرحيم / حماس مسئولة عن قتل اليهود أبناء
الخنازير والقردة حماس / حماس تعلن مسئوليتها عن
عملية القتل بمناسبة الانطلاقة الرابعة للحركة حماس /
تحية إجلال وإكبار إلى شيخ الانتفاضة الشيخ أحمد ياسين
حماس . وأغلقت الباب وانطلقنا مبتعدين .

الفصل الرابع: ليل الزنازين طويل لقاء وأمل

سرت ومروان حتى موقف السيارات في منطقة ابو كبير
الشهيرة وهناك كان علينا أن نفترق فمن الخطر أن نظل
سويًا بحيث إذا ضبط أحدهما ينجو الآخر لأنه من المؤكد أن
الخبر سيصل إلى أجهزة أمن العدو وبدأ في البحث عنا ،
ركب مروان إحدى السيارات في الموقف التي إنطلقت به

وركبت أخرى إنطلقت بي بعد قليل في الطريق إلى غزة حيث يمكن هناك أن نتدبر أمورنا بالصورة اللازمة كانت تلك اللحظات هي آخر مرة أرى فيها الأخ مروان رفيق الدرب طيلة فترة زادت على السنة عشنا فيها الآلام والأمال عملنا سوية جنودا تحت راية الحماس ركبنا الخطر صارعنا الصواب فرحنا كثيرا بتقدم مسيرة شعبنا عبر إنتفاضه المباركة وبكت القلوب أمام المواقف الصعبة التي مرت بقضيتنا مروان كان شريكى في مسيرة الدم والنار والدموع والابتسامات حتى الشرب والأكل والضحك إفرقنا فهل يا ترى نلتقي في هذه الدنيا ؟ على أي حال فأنا واثق أن لنا لقاء إن شاء الله تعالى إن لم يكن في الحياة الدنيا في جنات النعيم إخوانا على سرر متقابلين إنطلقت بي سيارة المرسيديس الأجرة تنهب الأرض ويدي غارقة في الدم النازف الذي بدأ يتجمع متجمدا في كيس النايلون الذي أدخلت يدي فيه لئلا يكشفني الدم المتدفق من جروح يدي التي تركتها سكين مروان لتظل شاهد إلتحام وذكرى للأخ المجاهد الذي لن تفارق صورته مخيلتي يدي غارقة في دمي في الكيس المتربع داخل جيبى والسيارة منطلقة وأنا غارق في الأفكار والذكريات شعور نشوة وفرحة كان يغمرنى حيث أشعر أنني أوفيت مما رأيته لازما على إتجاه حركتي في ذكرى إنطلاقتها وإتجاه إخوتي على إمتداد فلسطين الوطن الحبيب الطاهر وعلى إمتداد الوطن الاسلامي الكبير لتurf قلوبهم حين تتلقى خبر هديتي لحركتهم في ذكرى الميلاد الرابعة وتجاه كل أبناء شعبي وقضيتي وأنا أحس

أنى انتقمتم بالقدر الذي استطعت لثاراتهم وجراحاتهم وعظامهم التي كسرت بهروات الظالمين وبنازعني من شعور النشوة ذاك شعور مناقض يمزق قلبي ويقطع شرايينه بسبب شعور التقصير ثلاثة ثلاثة فقط ؟ لقد كانت أميتي أن يتجاوز العدد العشرة ثم أي مصيبة هذه ؟ هذا أنا عائد إلى غزة حتى أرزق أي مصيبة هذه ؟ لقد حرمت شرف الشهادة لم يستجب دعائي في هذا الأسر وتوأسيني صورة تلك الكلمات التي نقشتها بالطلاء الأسود على الجدار كانت تلك الكلمات في معناها حسب تقديري أقوى وأبلغ من قتل العشرة والعشرين كنت على ثقة قاطعة أن تلك الكلمات ستقطع قلوبهم غيظا وحقدا حين يكتشفون حقيقة أن بدنا قادرة على ذبحهم في عقر دارهم وبكل هدوء نفس وبأيدي واثقة بنصر ربها وتأييده بل وقادرة على أن تنقش وفي قمة الهدوء والطمانينة شعارات الحماس ويزيد في تخفيف تلك المشاعر ذاك الدم المتدفق الذي أغرق كفة يدي داخل الكيس وتلك الجروح التي كلمتها في سبيل الله هذا دمي ينهمر وهذا جرحي ينزف على قربان الجهاد والذل فان حرمت الشهادة فهذا دمي قد سال للمرة الثانية وأنا أرفع راية الحق راية القرآن راية الحماس فالحمد لله أنه سال هذا الدم اثناء فترة خدمتي الإلزامية في هذا الجيش المبارك ونحت راية هذه الكتيبة الفراء هذا دمي وهذه جروحي لا أشك أنها ستشهد لي يوم أقف أمام ربي أنني تقدمت على درب الشهادة والجهاد وأدبت الذي استطعت مما فرض علي حبي أن جروحي هذه ستاتي يوم القيامة مفتوحة كما هي

الآن والدم فيها أخضر لم يجف بعد لون الدم وريحه ريح المسك إن شاء الله تعالى وكفاني بذلك شهادة لي عند ربي إنزعني من تلك المشاعر والأفكار توقف السيارة لانتبه أنا فقط على بعد أمتار من نقطة التفتيش الدائمة في منطقة إبرز نظرت أمامي فإذا المنطقة مليئة بالجنود وبرجال المغابرات والتفتيش على السيارات العائدة على غزة على أشده إجراءات مكثفة وغير عادية تلك التي يمارسونها أدركت على الفور أن الأمر قد تم إكتشافه فلا بد أن أحدهم قد حضر للمخزن واكتشف ما حدث وأبلغ الشرطة السيارة تتقدم ببطيء لم يبق بيني وبين الجنود الذين يفتشون السيارات ويدققون في بطاقات وأشخاص الراكبين لم يبق بيني وبينهم سوى ثلاث سيارات بما فيها تلك التي يفتشونها ماذا علي أن أفعل؟؟ وأمام هول الراكبين والسائق فتحت باب السيارة ونزلت مسرعا لاتحول على الطريق الآخر المتجه نحو الشمال أي إلى الداخل مرة أخرى !! لست أدري كيف حدث ذلك ولا كيف عمي عني الجنود لعل الله قد أخذ أبصارهم لاستقل إحدى السيارات الذاهبة إلى تل أبيب مرة أخرى وفي الاتجاه المعاكس إنطلقت بي السيارة الجديدة لتذهب الأرض من تحتي وعلى جانب الطريق الذهاب إلى غزة بدأ الجنود يوقفون السيارات يفتشونها ويدققون في هويات راكبيها بحثا عن اشرف كان علي أن أفكر بسرعة وأن أتخذ القرار المصيري إلى أين أتجه؟؟ لم يطل بي التفكير إلى الضفة الغربية فلن يخطر ببالهم أنني هناك !! ولكن إلى أين؟؟ حيث لا أعرف شيئا فلم يسبق لي

دخولها قبل اليوم إطلاقا إلى بيت خالتي ولكني لست أعرف مكانه إذا إلى مكان لا أعرفه ويعرفه الجميع جميع السائقين خاصة إلى معهد رام الله حيث يدرس أخي أدهم حيث يتدبر بالأمر وبعد أن طلعت من السائق أخذني إلى رام الله إنطلقت السيارة من تل أبيب نحو الشرق إلى الضفة الغربية في الطريق إنقلبت إلى سيارة ذاهبة إلى رام الله إنطلقت السيارة الأخرى ترى أين مروان الآن؟؟ هل أفلت ونجح في الوصول إلى غزة؟؟ أملي أن يكون كذلك فغزة هذه شيء آخر صغيرة بالنسبة لمساحتها ولكنها بشر ليس له قاع إن وصل مروان إلى غزة فستنشق الأرض وتبلعه ولن يضطوه مهما كانت الأمور وهل أنجح أنا في الإفلات أيضا؟؟ لاشك أن الأمور هنا ستكون أكثر أمنا منها في الطريق إلى غزة إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا توقفت السيارة في وسط رام الله التي أدخلها للمرة الأولى لأركب سيارة أخرى إلى المعهد ، توقفت بي عند الباب الخارجي نزلت متقدما لغرفة الحارس عند الباب وبدي في الكيس والكيس في جيبتي يا الله أي قانون هذا قانونكم؟؟ لا بد أن يسجل الداخل للمعهد إسمه ومن يريد زيارته في الداخل سجل إسمي ذلك كان خطئا كبيرا ولعله الأكبر في حياتي لكني لم أكن أدرك أن الأمور بهذه الخطورة ، ماذا حدث؟؟ سأل والارتباك ظاهر على وجهه كانوا في تلك اللحظة يؤدون شمائير صلاة الجمعة أجته عما حدث مختصرا ليجد نفسه أمام أضخم مشكلة رآها في حياته وظهرت الحيرة على وجهه شعور عجيب بالطمأنينة كان يسيطر علي وكان الأمر لا

يعنيني دار أدهم في طرقات المعهد لا يدري ما يفعل وأنا خلفه لقد لاحظنا الكثيرون من طلبة المعهد وزائروه ماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟ وأخيرا طلب مني الجلوس في إحدى الغرف وذهب مغادرا !! طال الانتظار وأخيرا جاءني شاب عرفت اسمه فيما بعد دياب ولم أعرف شيء آخر رافقته إلى خارج المعهد لتنتقل بنا السيارة وبعد علاج سريع للجروح دخلت مرحلة جديدة من حياتي لذيدة رغم قسوتها وقسوة الحياة فيها فترة قاربت الشهرين قصيرة من فترة حياتي لكنها زاخرة حافلة بالمعاني بالآلام بالشوق واللذة في الصبر والمصابرة والعرفان لأناس حرموا أنفسهم النوم والراحة والطعام ليوفروا لي ، جميلة تلك المرحلة جميلة جميلة وحية وحياسة بالمعاني الإنسانية الرائعة إنطلقت بي السيارة يغمرنني شعور بالطمأنينة للسائق الذي يجلس إلى جوارني لم أر وجهه قبل اليوم ولكنني أحس أن قلبي يعرف قلبه جيدا لم أشعر بالغربة لحظة واحدة فقلوبنا متعارفة متألفة متعانقة تحت راية الحماس السيارة تنطلق بي بسرعة في تلك الطرقات المتعرجة مرة تميل يمينا وأخرى يسارا في تلك الطرقات الجبلية التي أراها أول مرة ولا أعرف إتجاه السير وفي منطقة خالية عند أطراف رام الله توقفت السيارة عند بيت مهجور وتزلت يودعني دياب على أمل اللقاء في صباح الغد كان الظلام قد غمر الكون حين إنطلقت السيارة مغادرة بعد أن استقر بي المقام في مسكني الجديد في هذا المكان الخالي الذي لم تطئه قدمي من قبل عن بعد شموخ الجبال المكسوة بأشجار الزيتون

المباركة التي كساها الظلام في هذا الجو الشاعري تطيب للمرء الأفكار والذكريات ولكن يطيب له أكثر أن يغلبه النوم بعد يوم طويل وشاق وحافل ومع ساعات الصباح الباكرة إنطلقت السيارة مرة أخرى في إتجاه جديد لأجد نفسي في مسجد البيرة إنتظرت فيه حتى بعد الظهر لتنتقل السيارة في إتجاه جديد بين الجبال والوديان وأشجار الزيتون إلى قرية عرفت اسمها فيما بعد دير غسانة عشت فيها الفترة الأطول من تجربتي هذه طريدا متحفزا مطمئنا إلى خيرة الله في قضائه لي وبين صخور دير غسانة وزيتونها وبيوتها النائية ومسجدها الحنون عشت حياتي تلك فترة قاربت الأربعين يوما ذقت فيها معاني الصبر والمصابرة رأيت فيها عين الله تحرسني وترعاني حين يقف جنود المحتل على بعد عشرين ستمترا عني هي سمك الجدار يمشطون بحثا عني أو عن أمثالي الكثيرين المظلومين لقوات الاحتلال ولمست فيها معنى الحب الكبير لفلسطين القدس والأرض والزيتون يالفلسطين الشعب والأهل والراية رأيت فيها الحب القدس في العيون التي سهرت على راحتي طويلا والتي ركبت الخطر لتوصل لي لقمة العيش طرية هائلة بالله جميلة تلك الأيام رغم قسوتها وعظمتها وكرمها أوفياء شيء آخر آخر تماما لا توفيهم الكلمات فهي كانت حقهم أولئك الأحبة الذين رأيت الحب الطهر الحماس الزيتون القدس والتحرير والجنة في عيونهم وجميلة ذكريات تلك الأيام وعزيزة ولا بد من تسجيلها وإن كانت لا بد سجلت في كتب أخرى خالدة لا

تمنحي عند رب العالمين في كتاب مرقوم بالأسماء
 والأرقام والتفصيلات ، يا الله أي عظمة وروعة وبهاء جميلة
 وقاسية وحافلة ذكريات تلك الأيام في أحد تلك الأيام خلقت
 طائرة عمودية في المكان كان واضحا أنها تفتش عني أو
 عن أمثالي ودوت أصوات السيارات العسكرية في المكان
 وتعال أصوات الجنود كان علي أن أختفي سريعا ولكن أين
 أختفي ؟ وفجأة بدأوا بإطلاق نيران بنادقهم بفزارة فهل
 حانت ساعة الصفر ماذا ينتظرنني في الساعة القادمة ؟
 وفجأة كأنه لم يكن شيء خلقت الطائرة بعيدا وانصرفت
 إليات العدو وعلى بعد مئات الأمتار فقط كانوا قد إعتقلوا
 أحد المطاردين الذين يختفون في تلك المنطقة بعد أن
 عصف رصاص الطائرة بالسيارة التي كانت تنقله وزميله
 فتدحرجت السيارة على جانب الطريق بعد أن أخذوا
 المصابين ولعل الذي كان يزيد الوضع صعوبة وقسوة أن
 ذلك جاء في فترة فرض فيها منع التجول على الضفة وغزة
 كاملتين إذ تزامن ذلك مع حرب الخليج حيث عشت كباقي
 إخواني وأهلي قسوة تلك الأيام في إحدى المرات إرتفع خطر
 التجول ساعة ليخرج الأهالي يتزودون بما يلزمهم من
 تموين فاذا قضيتي وتمويني وراحتي هي قبل قضيتهم
 الأولى قبل أطفالهم قبل أنفسهم أي أجرة هؤلاء وأي رابطة
 هذه رابطة الأخوة في الله تحت راية الحماس إنتقلت إلى
 رام الله لأستقر في بيت الأخ الكريم يحيى نمر لم أعرفه من
 قبل ولكن سرعان ما ألفته فقد وجدت قلبي يعرفه جيدا
 أذكره وهو يترنم بأيات سورة مريم يحاول حفظها عشت

آيات جميلة عنده في البيت كان كثيرا ما يتركني وحيدا
 ليخرج إلى ورشة عمله (المحددة) ذقت في أحضان بيت
 الأخ يحيى الراحة والطمأنينة والحنان والدفيء كان من
 المستحيل أن أدخل غزة في تلك الفترة فغزة تحت نظام
 منع التجول منذ ما يزيد على أربعين يوما ولاشك أن
 دخولها يعني وضع رأسي بين فكّي الوحش الانتقال إلى غزة
 يعني الكثير والوسائل فيها كثيرة ولاشك أن إخواني هناك
 يمتلكون الوسائل الكثيرة التي تمكنني من تحديد وجهتي
 الجديدة بوضوح وروية أيسر تلك الخيارات أن أغادر بواحدة
 من تلك الوسائل العديدة إلى مصر عبر الحدود لأجد طريقي
 هناك للمواصله بأساليب ووسائل أخرى ، جن جنونه العدو
 وطارت عقولهم من وقع الحدث وبدأت إذاعتهم تنقل الأخبار
 المتتالية عن ضربة قاصمة حسب تعبيرهم للحركة وكل من
 يفترض أن له بها أدنى علاقة وبدأ رقم عدد المعتقلين
 يرتفع تدريجيا ليصل خلال يومين أو ثلاثة إلى ألف
 وستمائة معتقل كان واضحا من طريقة معالجتهم للامر
 وطبيعة إعتقالاتهم أنها حملة مسمورة ومحمومة بفعل
 الواقع المذهل للحادث على نفوسهم وأنهم بذلك التحويل
 المقصود يريدون أن يمتصوا بهجة وعظمة تلك العملية
 الفذة التي أطارت عقولهم وتعال التصريحات المحمومة من
 بين أسنان زعماء الكيان المسخ بالتهديد والوعيد لحمايين
 وقادتها وبينما كان فارسنا ينتقل من مأوى إلى آخر كانوا
 قد إعتقلوا أخوه أدهم من المعهد عند صباح اليوم التالي
 السبت وتوالى الاعتقالات والتحقيقات " ويقضي الله أمرا

وينفذ قدره بالخير دون شك فيبدلوا من خلال تحقيقاتهم واستخباراتهم على ماوى فارسنا الأخير في بيت الأخ يحيى بعد أن يعتقلوا الأخ دياب بعد حوالي أسبوع من نزوله فيه لتبدأ مرحلة أخرى من حياة الفارس داهم البيت مئات الجنود لينقل الفارس مقيد اليدين والرجلين معصوب العينين من سيارة إلى سيارة ومن سجن إلى سجن ومن تحقيق إلى تحقيق ومن مكتب إلى مكتب وتتوالى القيود على معصمه وأكياس الشادر على رأسه والأقفال على باب زنزانته والسجانون يحرسونها من بعد عيونهم تكاد تحرقه غيظا ولا تجرؤ على الاقتراب منه ليعيش فترة التحقيق التي قاربت ثلاثة أشهر عاش مثله فيها عشرات الآلاف من أبناء شعبنا المجاهد في أقبية التحقيق والزنازين إلى سجن رام الله إلى سجن عسقلان فالى سجن غزة ثم إلى عسقلان ثم إلى أبو كبير إلى حلوان إلى أبو كبير ويمثل الفارس شامخ الرأس شموخ السنافور أو نخلات المنتزه وزيادة أمام محكمة العدو لتصدر بحقه حكمها بالسجن المؤبد ثلاث مرات وقد إحتفظت النيابة بحقها في الاستئناف في حال إقرار الحكومة القرار بالاعدام فيما بعد لينتقل أخيرا إلى واحدة من قلاع الصمود والصبر والمراقبة إلى سجن الرملة حيث يربض فارسا صامدا محتسبا مرابطا في القسم الخاص الذي أعدوه لآخوانه من قبل قسم العزل حماس سجن الرملة حيث يبدأ رحلة جديدة مع حياة جديدة وبين أخوة جدد سمع القليل عنهم من قبل وتمنى أن يتعرف عليهم فجاء ليعرف الكثير عنهم وعن حركته

ليعيش معهم الآلام والأمال والابتسام للغد المشرق القادم برأية التحرير خفاقة عالية البنود واثق واثق بنصر الله القريب القريب وعد الله لا يخلف الله وعده وليتقي مرة أخرى مع الوالدة الحنونة على شباك الزيارة وسط إبتسامات الأمل والمزة والافتخار والذكريات بأشرف الصغير مسلم النقود التي قبضها أول مرة في حياته نتاج أول عرق بذله في حياته ليثق الجميع أن للمرق نتاج لا محالة وإن بدا ذلك للغمي أو قصيري النظر بعيد وتللملم الأم المدرسة ثيابها وبسماتها ودموعها إن صح أن نذكر الدموع ترحل عائدة إلى السنافور تلبغه السلام من أشرف قتلقة الدرس الذي لا بد أن يفهمه جيدا من تلميذه الصغير حيث لا يكفي الصمود والشموخ والوقوف في المكان فلا بد من التقدم في كل يوم خطوة .

الخاتمة : إعتذار أخير

وقد أبى الله عز وجل ألا يميظ اللثام عن فلا ضير أن أسطر كلماتي الأخيرة .

مرة أخرى يشرفني أن أسطر هذه الحلقة من ملحمة فرسان الحماس إعتذار أشد الاعتذار أولا: لأستاذ الفرسان ورائدهم فلا شك أنني قصرت في أداء واجبي إتجاهه ، ثانيا: لكل جند كتيبة الفرسان فقد لا أكون عبرت عن مشاعرهم وأحاسيسهم وأفكارهم فلا شك أن قللمي أعجز من ذلك ، ثالثا: أعتذر للفارس أشرف أبو حمزة الذي كتبت عنه ما كتبت رغما عنه وهو يحاورني حتي اللحظة الأخيرة محاولا أن يشينني عن الكتابة خشية أن يتقصه ذلك شيئا من أجره

عند ربه وشعورا بالتقصير في دينه ووطنه وامته ولاني
دون شك لم استطع ولن ... أن أعبر عن تلك المعاني
والمشاعر العظيمة التي تقدم لينمشها فارسنا الحبيب على
وجه التاريخ والمرحلة .

وأخيرا أعتذر للفارس الحبيب مروان الذي أمل أن لقاء
قريبا تحت الراية الربانية الفراء راية الحماس في ساحات
الشرف والكرامة لأسطر له حلقة خاصة أخرى من حلقات
الفرسان إن شاء الله رب العالمين ، ولكل الفرسان كل حب
وتحية ودعاء .

سجن الرملة قسم العزل حماس ١٩٩١/٦/٩ الثانية بعد
منتصف الليل .

أخوكم أبو إبراهيم .

البطاقة الشخصية للفارس

الاسم : أشرف حسن يوسف البلوجي

الكنية : أبو حمزة

تاريخ الميلاد : ١٩٧٢/٢/١٧

المنوان القديم : غزة التفاح - المزلقان

المنوان الحالي : سجن الرملة قسم العزل حماس

العمر في الحركة : سنتان

المؤهل الدراسي : ثاني ثانوي منزلي - سنة أولى سجن

الحكم : ٣ مؤبدات

المهنة : طالب - عامل

البلدة الأصلية : بئر السبع

الاسم الحركي سابقا : لا يوجد

الشخصية الأكثر أثرا

في حياتك : الشيخ أحمد ياسين مع أني لم ألقاه مرة
وأحدة

أمنيتك

: الشهادة في سبيل الله أسمى أمانينا

شعارك في الحياة : إحرص على الموت توهب لك الحياة

نصيحتك لأبناء جيلك : الذبح الذبح فهو الطريق الوحيد مع

القرآن

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





29808-10

FAR



020000 048572 0



المؤلف في سطر...

من مؤلف القصص

يحيى ابراهيم حسن السنوار
 - مولده ١٩٦٢ - من ممتلكاته بونس، البصرة، الامم المتحدة
 - المولد عسقلانية
 - أنشأ الثانوية العامة من مدرسة حماد بونس الثانوية للبنين
 - التحق بالجامعة الرسومية بفترة - كلية العلوم -
 - بعد عام تحول إلى كلية الآداب - لغة عربية - ليدرس في جامعة بغداد
 - الدعوة والدراسة - كان أحد مؤسسي النقطة الإسلامية بالجامعة
 - تم انتخابه في مجلس طلبة الجامعة الإسلامية فرفع مرارته على التوازي
 - مجلة فتية - لغة رياضية - رئيس - نائب رئيس
 - اعتقل عدة مرات أولها كان عام ١٩٨٢ عند زيارته مع أخوانه في
 - مجلس الطالبات المحققات في مجتمعه
 - اعتقل منذ بداية الانتفاضة وتبنيه فيها بعد أن مؤسسها في الزاوية
 - في حماد - محمد - والخط فقط الجندية صاحب رتب ومعدية
 - سجنه
 - سجن في عدة سجون - غزة المركزي - الجبل - غزة الزلزلة - مركز السبع
 - غزة
 - وأعتقل عليه أثناء قاضيه لمدة ٢٢ سنة
